

بدل الاشتراك عن سنة -

- ٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع شركة النجم

الزيتونة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistiqueصاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها السئول

أحمد حسن الزيات

إدارة

بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثالثة

« القاهرة في يوم الاثنين ٢١ ذو القعدة سنة ١٣٥٣ - ٢٥ فبراير سنة ١٩٣٥ »

العدد ٨٦

الأزهر بين الماضي والحاضر

ويل للأزهر من أهله ! كان منيعاً بالدين فابتذلوه بالدنيا ،
وعزيراً بالعلم فأذلوه بالمال ، ومستقلاً في حمى الله فأخضعوه لهُوى
الحكم ! وكان سنةً واضحةً لِهَدْيِ الشريعة استقام الناس بها منذ
ألف عام على عود واحد ، فشبهوا وجوهها بالأنظمة الفجة ،
ولبسوا صورها بالأعلام المستعارة ، ثم وقفوا لدى المفرق المبهم
الذى أحدثوه يديرون أعينهم في الفضاء ، ويردون منها من الأمام
إلى الوراء ، فلا يرون أقدامهم على أثر ، ولا يجدون وجوههم
على سبيل !

كان للأزهر ، على عهدنا القريب ، جلاله تغشى
العيون ، وقداسته تملأ الصدور ، لأنه العقل الوحيد الذى ثبت
لحالات الفير فاتته اليه أمانة الرسول ، واستقرت به وديعة
السلف ، واستعصمت فيه لفظة القرآن ، واستأنمت اليه آداب
العرب ، فأرضه حرم لا يُتَهَك ، وأهله حمى لا يستباح ، وأمره
قدراً لا يُرد ؛ وكان لعلائه مكانة في القلوب ، ومهابة في النفوس ،
لأنهم دعاة الله ، وورثاء النبي ، وهداة المحجة ؛ ينطلق على

فهرس العدد

صفحة	
٢٨١	الأزهر بين الماضي والحاضر : أحمد حسن الزيات
٢٨٣	زوجة إمام : الأستاذ مصطفى صادق الرافى
٢٨٦	الدعوة الفاطمية السرية : الأستاذ محمد عبد الله عنان
٢٩٠	نظام التربية والتعليم بالانجلترا : الأستاذ محمد عطية الأبراشى
٢٩١	أين كانوا يوم كنا : الأستاذ كرم مليم كرم
٢٩٦	ورطة : الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى
٢٩٩	قصة المكروب : ترجمة الدكتور أحمد زكى
٣٠٣	محاورات أفلاطون : ترجمة الأستاذ زكى نجيب محمود
٣٠٥	دار الحديث الأشرقية : برهان الدين محمد الداغستاني
٣٠٦	بين القاهرة وطوس : الدكتور عبد الوهاب عزام
٣٠٨	ابن النبيه : الأستاذ أحمد أحمد بدوى
٣١٠	القبلة المنزوعة (قصيدة) : للأستاذ أحمد الزين
٣١٠	ثورة على الحضارة (قصيدة) : للأستاذ محمود غنيم
٣١١	وداع (قصيدة) : وصفي البنى
٣١٢	تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا : الأستاذ خليل هندواى
٣١٤	حرب البوس : اليوربانى أحمد الطاهر
٣١٧	لامرئى . بشر بن عوانة . حول رواية نهر الجنون
٣١٨	رسائل جديدة للزك . خيون علماً لوفاة فكتور هوجو
٣١٩	أدولف (كتاب) : الأستاذ الخفيف
٣٢٠	أغاني الكونخ
٣٢٠	شعراؤنا الضباط

تدبر ذلك في نفسك على إجماله وعمومه ، ثم اقرنه إلى ما تسمع اليوم أو تقرأ من خبر الأزهر وحال علمائه وأبنائه ، فهل تجد المهد هو المهد والناس هم الناس ؟ إن الأزهر البائد على فوضاه المنظمة كان أجدى على الدين وأغود على الثقافة من هذا الخلق المسيخ الذى وقف بين الماضى والحاضر ، وبين الدين والسياسة ، موقفاً يُبندى الجبين الصلب ، ويوجع الفؤاد المصمت !

تقلب بعض زعمائه على فرش الديباج ، وخبوا في أفواف الشاهي ، وتأقوا في ألوان الطعام ، وتنبلوا بالمظاهر الفخمة ، وسردوا أعداد الدنانير على المسايح العطرة . وكان أسلافهم طيب الله ثراهم كأطيب ذكراهم يتسترون بمزقعات القطن ، ويتبلغون بقشور البطيخ ، ويستريحون النسيم على شرفات المآذن ثم شايعوا أهواء الناس ، وصانعوا أهل النفوذ ، وجروا في تمكين أمورهم وترفيه نفوسهم على الضراعة واللق ؛ من أجل ذلك فقدوا خطرهم في الخاصة ، وأثرهم في العامة ، وجروا معهم كرامة الدين إلى هذا المنحدر

ان في بقية السلف من أعلام الأزهر تمزجاً من هذه الحال الأليمة . فلبسوا مخلصين لرد هذا المهد الكريم إلى نظامه ، فإن شديداً على النفس أن يضطرب فيه الأمر ويشرى به الفساد حتى تطرد طلاله ، وتطلق أبوابه

لقد قرأت بالأمس فصلاً عن الاسلام في مجلة شهرية فرنسية يقول كاتبه فيه : « لقد انحسر الاسلام عن بلاده أو كاد ، فلم يبق داوياً متوثباً إلا في الأزهر » فإذا عسى أن يقول هذا المؤلفون إذا ما قيل له غداً إن هذا الدوى قد سكن ، وهذا التوثب قد قرأ لا جرم أن المخلصين من علماء الأزهر وأبنائه أقدر على درء هذه الكارثة متى أنضجوا الرأي وأجمعوا الكلمة ؛ والحكومة القائمة أربأ بعهدتها عن هذا الحدث ، وأضن بتأريخها على هذه الصفحة ؛ وليس في مصر ولا في غير مصر ضمير نزيه يرضيه أن تبث الشهوات الرعن بهذا العقل الدينى الذى عصم القرآن ولنته وعلومه من طغيان الأحداث والفتن عشرة قرون

إبراهيم الزيات

أدلتهم الكتاب ، وتمثل في أفعالهم الشنة ؛ فحببتهم عقيدة ، وطاعتهم فريضة ، وإشارتهم نافذة وكان لطلابه كلف به لا يُتهم ، وثقة برجاله لا تحمد ، وانقطاع إلى جواره لا يبعون من ورائه غير فقه الدين وتحصيل المعرفة وتجديد حل الدعوة ، فهم عاكفون على معاناة الدرس ، قانعون بميسور العيش ، لا ينصرفون عن حلقات التعلم بالقاهرة ، إلا إلى حلقات التعليم في الريف

كانت صلة العلماء بالحكومة صلة دينية ، تقوم على حسم المشاكل بالقضاء ، وحل المسائل بالفتوى ؛ وكانت صلتهم بالأمة صلة روحية ، يجلوت صدأ القلوب بالذكر ، ويكفكفون سفه الجوارح بالموعظة ، ويشفون غل الجوائح بالمواخاة ، فكانوا لذلك موضع الاجلال أنى حلوا . كنا نرى العلم اذا نزل مدينة أو قرية كان يوم نزوله تاريخاً لا يُنسى : يأخذ الناس فيها حال من الشهور الصوفى يدفعهم إلى رؤيته ، فيهرعون إليه كما يهرعون اليوم إلى زعيم الأمة أو إلى رئيس الحكومة ، فيتوسمون في أساريه نور الرسالة ، ويتنسمون من أعطافه ريح النبوة ، ويتخفون على يديه من أوزار العيش وتبعات الجهالة . وطلاب الأزهر القديم لا يزالون يذكرون ما كان في نفوسهم لشيخوخهم من الحب والتجلة . كانوا يتحلقون حول كرسى الشيخ من غير نظام ولا ضابط ، فيكون لهم على السبق إلى الأمام عمراك دام وصخب مُصم ، حتى اذا ما أقبل خشت الأصوات وسكنت الحركات كان شيئاً علق الأنفاس فلا تنسم ، وعند الشفاه فلا تنبس ! وربما نزا اللجاج على لسان أحدهم أثناء المناقشة فيغضب الشيخ فلا يكون أنكى في عقابه من الإشارة إليه بالخروج من الدرس ، أو الدعاء عليه بالقطيعة من الأزهر ! والقطيعة عن الأزهر كانت أقصى ما يتصوره الأزهرى من شقاء الحياة ! فاذا انقضى الدرس وقال الشيخ : (والله أعلم) تضامّت أطراف الحلقة عليه ، وأتمى الطلاب بالقبل على يديه وردنيه ، فما يشق طريقه بينهم إلا بعد لأى

زوجة إمام

بقية الخبر

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

الطبيعة أوجدت هي لنفسها مصائبها الخفيفة فكان الزوج
إحداها

وهذا كله غير الجرأة والبذاءة فيمن يبغض أزواجهن ،
فإن المرأة إذا فركت زوجها لنافرة الطبيعة بينها وبينه ، مات
ضعفها الأنثوي الذي يتم به جمالها واستمتاعها والاستمتاع بها ،
وتعقد بذلك لينها أو تصلب أو استخجر ، فتكون مع الرجل
بخلاف طبيعتها فينقلب سكرها للناسى بأوثها الجميلة عريضة
وخلافاً وشرّاً وسخياً ، ويخرج كلامها للرجل وهو من البغض
كأنه في صوتين لاني صوت واحد . ولعل هذا هو الذي أحسه
الشاعر العربي بفطرته - من تلك المرأة الصخباء الشديدة الصوت
البادية الغيظ ، فضاعف لها في تركيب اللفظ حين وصفها بقوله :
مُصَلِّبَةُ الصَّيْحَةِ مَهْصَلِيْقِيْهَا (١)

قال أبو معاوية : واستأذنت على (تلك) ودخلت بعد أن
استوثقت أن عندها بعض محارمها ؛ فقلت : أنعم الله مساءك
يا أم محمد . قالت : وأنت فأنعم الله مساءك . فأصغيت للصوت
فاذا هو كالنائم قد اتبته يتمطلي في استرخاء وكأنها تقبلي به
وتردني معاً ، لاهو خالص للغضب ولاهو خالص للرضى .
فقلت : يا أم محمد إني جائع لم أَلِمَّ اليوم بمنزلي . فقامت
فقربت ما حضر ؛ وقالت معذرة يا أبا معاوية ، فإنا هو جهد
المُحِلِّ وليس يعدو إمساك الرَّمَق . فقلت إن الجوعان غير
الشهوان ؛ والمؤمن يأكل في مئى واحد (٢) ولم يخلق الله
قحاً للملوك وقحاً لغيره للفقراء

ثم سميت ومددت يدي أتمسك ماعلى الطبق ، فاذا كسر
من الخبر مما شئ من الجزر المسلوق فيه قليل من الخل والزيت ؛
فقلت في نفسي هذا بعض أسباب الشر . وما كان لي الجوع
ولأسد . غير أني أردت أن أعرف حاضِر الرزق في دار الشيخ
فإن مثل هذه القلة في طعام الرجل هي عند المرأة قلة من الرجل
نفسه ؛ وكل ما تفقده من حاجاتها وشهوات نفسها فهو عندها
فقر بمعنيين : أحدهما من الأشياء والآخر من الرجل . كلما أكثر

(٣) هذا من عجائب اللغة العربية ، إذا زاد للمنى زادوا له في اللفظ .
ورواية لسان العرب : « شديدة الصيحة » وليست بفتح فليصححها من
بفتح اللسان من القراء

(٢) في بعض الأثر . المؤمن يأكل في مئى واحد ، والكافر يأكل
في سبعة أمعاء . وهذا الحديث رمز عجيب ليهية من لا يرى الدنيا إلا الدنيا فقط

قال أبو معاوية الضرير : وكنت في الطريق إلى دار الشيخ
أروى في الأمر وأمتحن مذاهب الرأي وأقلبها على وجوهها ،
وأنظر كيف أحتال في تأليف ما تنافر من الشيخ وزوجته ؛
فإن الذي يفسر بين رجل وامرأته إنما عشي بفكره بين قلبين ،
فهو مُطْفِئُ نَارِ قَرْمٍ (١) أو مُسْمِرُهَا ، إذ لا يضع بين القلبين إلا
مُحَقِّقَهُ أو كِيَّاسَتَهُ ، وهو إن ردَّ المرأة إلى الرأي إلا إذا طاف
على وجهها بالضحك ، وعلى قلبها بالجل ، وعلى نفسها بالرقعة ،
وكان حكماً في كل ذلك ؛ فإن عقل المرأة مع الرجل عقل بيد ،
يجي من وراء نفسها ، من وراء قلبها ، وجعلت أنظر ما الذي
يفسد محل الشيخ من زوجته ، ومثلت بينه وبينها ، فما أخرج
لي التفكير إلا أن حسن خلقه معها دائماً هو الذي يستدعي
منها سوء الخلق أحياناً ؛ فإن الشيخ كما ورد في وصف المؤمن :
« هَيْنَ لَيْنٍ كَالْجَلِّ الْأَنْفِ » (٢) ، إن قيد انقاد ، وإن أتيخ على
صخرة استناخ « والمرأة لا تكون امرأة حتى تطلب في الرجل
أشياء : منها أن تحبه بأسباب كثيرة من أسباب الحب ؛ ومنها
أن تخافه بأسباب يسيرة من أسباب الخوف . فاذا هي أحبت
الحب كله ولم تخف منه شيئاً وطال سكونه وسكونها ، نفرت
طبيعتها نفرة كأنها تنحيه وتذمره ليكون معها رجلاً فيخففها
الخوف الذي تستكمل به لذتها ، إذ كان ضعفها يحجب فيما
يجبه من الرجل أن يفسد عليه الرجل في الوقت بعد الوقت ،
لا ليؤذيه ولكن ليخضعه ، والأمر الذي لا يخاف إذا عصى
أمره هو الذي لا يعبأ به إذا أطيع أمره

وكان المرأة تحتاج طبيعتها أحياناً إلى مصائب خفيفة
تؤدي رقعة أو تمر بالآذى من غير أن تلمسها به لتحرك في
طبيعتها معاني دموعها من غير دموعها ؛ فإن طال ركود هذه

(١) النائرة الغضب

(٢) أي اللانوف ويسببه العامة (الخزوم) وهو الذي عقر أفعه
بالخشاش فيقاد منه يكون ذللاً سمياً

فقلت : الله الله يا أم محمد ؛ لقد أبسرتِ بعدنا حتى كأن الخبز والجزر المسلوقة شيء قليل عندك من قرط ما يتيسر ؛ أو ما علمتِ أن رزق الصالحين كالصالحين أنفسهم ، يصوم عن أحبابه اليوم واليومين وكأنك ما سمعتِ شيئاً من أخبار أهبات المؤمنين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونساء أحبابه رضوان الله عليهم ، فما خير امرأة مسلمة لا تكون بأدبها وخلقها الاسلامي كأنها بنت إحدى أهبات المؤمنين ؟

أفرايت لو كنت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ؛ أفكان ينقلك هذا إلى أحسن مما أنت فيه من العيش ؛ وهل كانت فاطمة بنت ملك تعيش في أحلام نفسها أو بنت نبي تعيش في حقائق نفسها العظيمة ؟

تقولين إنني استأملت أم معاوية من جذورها ؛ فما أم معاوية وما جذورها ؟ أمي خير من أسماء بنت أبي بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قاتت عن زوجها البطل العظيم : تروجنى وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير قرينه وناسجه^(١) فكنت أعلق قرينه وأكفيه مؤنته وأمسوسه ، وأدق النسوى لناسجه وأعلقه ، وأستقي الماء وأخرز عربة^(٢) وأعجن ؛ وكنت أنقل النوى على رأسي من ثلثي فرسخ حتى أرسل إلى أبو بكر بجارية فكفتني سياسة الفرس فكأنما أعتقني

هكذا يبنى لنساء المسلمين في الصبر والآباء والقوة والكبرياء بالنفس على الحياة كائنة ما كانت ، والرضى والقناعة وموازرة الزوج وطاعته واعتبار ما لهن عند الله لا ما لهن عند الرجل ، وبذلك يرتفعن على نساء الملوك في أنفسهن ، وتكون المرأة منهن وما في دارها شيء ، وعندها أن في دارها الجنة . وهل الاسلام إلا هذه الروح السابغة التي لا تهزمها الأرض أبداً ولا تؤذيها أبداً ما دام بأسها وطمعها مملكين بأعمال النفس في الدنيا لا بشهوات الجحيم من الدنيا ؟

هل الرجل السلم الصحيح الاسلام إلا مثل الحرب يثور حولها غبارها ويكون معها الشظف واليأس والقوة والاحتمال والصبر ، إذ كان مفروضاً على السلم أن يكون القوة الانسانية

الرجل من إتقانها أكثر عندها وإن أقل قل . وإنما خلقت المرأة بطناً يلد ، فبطنها هو أكبر حقيقتها ، وهذه غايها وغاية الحكمة فيها . لا جرم كان لها في عقلها معيدة معنوية ؛ وليس حبها للحلى والنياب والزينة والمال ، وطمعها اليها واستملاكها في الحرص عليها والاستشراف لها — إلا مظهرآ من حكم البطن وسُلطانها ؛ فذلك كله إذا حققته في الرجل لم تجده عنده إلا من أسباب القوة والسلطة ، وكان فقدّه من ذرائع الضعف واليقلّة . فاذا حققته في المرأة أقيمت عندها من معاني الشجع والبطر ، وكان فقدّه عندها كأنه فن من الجوع ، وكانت شهوتها له كالقصرم إلى اللحم عند من حرم اللحم . وهذا بعض الفرق بين الرجال والنساء ؛ فلن يكون عقل المرأة كمقل الرجل لمكان الزيادة في معانيها « البطنية » فحسبت لها الزيادة ههنا بالنقص هناك ؛ فهن ناقصات عقل ودين كما ورد في الحديث . أما نقص العقل فهذه علته ؛ وأما الدين فلنوبة تلك المعاني على طبيعتها كما تقلب على عقلها . فليس نقص الدين في المرأة نقصاً في اليقين أو الايمان فانها في هذين أقوى من الرجل ؛ وإنما ذاك هو النقص في المعاني الشديدة التي لا يكمل الدين إلا بها ؛ معاني الجوع من نعيم الدنيا وزينتها ، واستداد العين اليها واستشراف النفس لها ؛ فان المرأة في هذا أقل من الرجل . وهي لهذه العلة ما رحت تؤثّر دائماً جمال الظاهر وزينته في الرجال والأشياء دون النظر إلى ما وراء ذلك من حقيقة النعمة

قال أبو معاوية : وأريتها أني جائع فنهت نهش الأعرابي كيلا تظن لي ما أردت من زعم الجوع ، ثم أجبت أن أستدعي كلامها وأستميلها لأن تضحك وتسر ، فأغدير بذلك ما في نفسها فيجد كلامي إلى نفسها مذهباً . فقلت يا أم محمد : قد تحرمت بطعامك ووجب حق عليك ، فأشير علي برأيك فيما أستصلح به زوجتي فانها غاضبة علي وهي تقول لي : والله ما يقيم الفأر في بيتك إلا لحب الوطن وإلا فهو يسترزق من بيوت الجيران

قالت : وقد أعدمته حتى من ركسر الخبز والجزر المسلوقة ؟ الله منك ؛ لقد استأصلتها من جذورها ؛ إن في أمراض النساء الحلى التي اسمها الحلى ، والحلى التي اسمها الزوج . . .

(١) التواضع الابل يستقي عليها واحدها ناضح وساقها النضاح

(٢) الترب الدلو العظيمة تتخذ من جلد الثور

لا الضعف ، وأن يكون اليقين الانساني لا الشك ، وأن يكون الحق في هذه الحياة لا الباطل ؟

وهل امرأة السلم إلا تلك المفروض عليها أن تُحِدَّ هذه الحرب بأبطالها وعَتَادِ أبطالها وأخلاق أبطالها ثم ألا تكون دائماً إلا من وراء أبطالها ؟ وكيف تلد البطل إذا كان في أخلاقها الضَّعة والمطامع الدلية والضعف والكسل والبلادة ؟ ألا إن المرأة كالدار البنية لا يسهل تغيير حدودها إلا إذا كانت خراباً فاعتزته امرأة الشيخ وقالت : وهل بأس بالدار إذا وسعت حدودها من ضيق ، أتكون الدار في هذا إلى تقصها أو تمامها ؟ قال أبو معاوية : فكدت أقطع في يدها ، وأجبت أن أمضى في استمالها فتركها هنيئة ظافرة بي وأريتها أنها شدتني وثاقاً ، وأطرقت كالمفكر . ثم قلت لها : إنما أحدثك عن أم معاوية لأبي معاوية ؟ وتلك دار لا تملك غير أحجارها وأرضها فبأى شيء تنسج ؟

زعموا أنه كان رجل عامل يملك دُورَةً قد انتصفت بها مساكن جيرانه وكانت له زوجة حمقاء ما زال ضيقة النفس بالدار وصغرها كأن في البناء بناء حول قلبها ؛ وكانا فقيرين كأن معاوية وأبي معاوية ؛ فقالت له يوماً : أيها الرجل ألا توسع دارك هذه ليعلم الناس أنك أيسرت وذهب عنك الضر والفقر ؟ قال : فبأذا أوسمها وما أملك شيئاً ، أأمسك يميني حائطاً وبشالي حائطاً فأمدتها أباعد بينهما وهبيني ملكة التوسعة ونفقها فكيف لي بدور الجيران وهي ملاصقة لنا يئنت بيت ؟ قالت الحمقاء : فأننا لا نريد إلا أن يتعالم الناس أننا أيسرنا ؛ فاهديم أنت الدار فأنهم سيقولون لولا أنهم وجدوا واتسموا وأصبح المال في يدهم لما هدموا . . .

قال أبو معاوية : وعاظتني زوجة الشيخ فلم أسمع لها همسة من الضحك لئلا الحمقاء وما اخترعته إلا من أجلها ، كأنها تريد أن يذهب عملي باطلاً . فقلت : وهل تنسج أم معاوية من فقرها إلا كما اتسع ذلك الأعرابي في صلاحه ؟

قالت : وما خبر الأعرابي ؟

قلت : دخل علينا المسجد يوماً أعرابي جاء من البادية وقام يصلي فأطال القيام والناس يرمقونه ، ثم جملوا يشجبون منه ، ثم رفعوا أصواتهم يمدحونه ويصفونه بالصلاح . فقطع الأعرابي

صلاته وقال لهم : مع هذا إني صائم . . .
قال أبو معاوية : فما تمالككت أن ضحككت وسمعت صوت نفسها وميزت فيه الرضى مقبلاً على الصلح الذي أتسبب له .
ثم قلت :

وإذا ضاقت الدار فلم لا تنسج النفس التي فيها ؟ المرأة وحدها الجوة الانساني لدار زوجها ، فواحدة تدخل الدار فتجمل فيها الروضة ناضرة متروحة باسمعة ، وإن كانت الدار قحطة مسحونة ليس فيها كبير شيء ، وامرأة تدخل الدار فتجمل فيها مثل الصحراء برمالها وقبظها وعواصفها ، وإن كانت الدار في رايثها ومتاعها كالجنة السندسية ، وواحدة تجمل الدار هي القبر . والمرأة حق المرأة هي التي تترك قلبها في جميع أحواله على طبيعته الانسانية ، فلا تجمل هذا القلب لزوجها من جنس ما هي فيه من عيشة : مرة ذهباً ، ومرة فضة ، ومرة نحاساً أو خشباً أو تراباً ، فأنما تكون المرأة مع رجلها من أجله ومن أجل الأمة معاً ؛ فعملها حقان لاحق واحد أصغرهما كبير . ومن ثم فقد وجب عليها إذا تزوجت أن تستشعر الذات الكبيرة مع ذاتها ، فإن أغضبها الرجل بهفوة منه تجأفت له عنها وصرخت من أجل نظام الجماعة الكبرى ، وعليها أن تحكم حينئذ بطبيعة الأمة لا بطبيعة نفسها ، وهي طبيعة تأتي التفرق والأفراد ، وتقوم على الواجب ، ونفعنا عف هذا الواجب على المرأة بخاتمة

والإسلام يضع الأمة ممثلة في النسل بين كل رجل وامرأته ، ويوجب هذا المعنى إيجاباً ليكون في الرجل وامرأته شيء غير الذكورة والأنوثة يجمعهما ويقيدهما أحدهما بالآخر ، ويضع في طبيعتهما التي من طبيعتهما أن تتفق وتختلف ، إنسانية من طبيعتهما أن تتفق ولا تختلف

ومتى كان الدين بين كل زوج وزوجته معها اختلافاً وتدابيراً وتمعدت نفسهما ، فإن كل عقدة لا تجيء إلا ومعهما طريقة حلها ، وإن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، وهو البسر والساهلة والرحمة والمغفرة ولين القلب وخشية الله ، وهو العهد والوفاء والكرم والمواخاة والانسانية ، وهو اتساع الذات وارتفاعها فوق كل ما تكون به منحطة أو ضيقة

قال أبو معاوية : حق الرجل المسلم على امرأته المسلمة هو

الدعوة الفاطمية السرية

ضوء على موضوعها وغايتها

للأستاذ محمد عبد الله عنان

لما قامت الدعوة الفاطمية بمصر ، وامتد سلطان الشيعة السياسي بين المغرب وإفريقي الشام ، عني الفاطميون أشد العناية بالمسائل الذهبية ، وعملوا على بث العقائد والبادئ الشيعة بكل الوسائل ، واتخذت هذه الدعاية صفة رسمية في مجالس الحكمة الشهيرة التي كانت تنظم بادي بدء في القصر الفاطمي وفي الجامع الأزهر تحت رعاية الخليفة نفسه ، ويقوم بتنظيمها قاضي القضاة أو داعي الدعوة ؛ ثم أنشئت لها بعد ذلك جامعة رسمية خاصة هي دار الحكمة الشهيرة التي أنشأها الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٥ هـ (١٠٠٥ م) ، ولبثت عصراً تقوم ببث الدعوة الفاطمية السرية في صور وأساليب مازال يحيط بها الخفاء والغموض . ولقد تقلبت دعوة الشيعة قبل ظفرها السياسي الحاسم على يد الخلفاء الفاطميين في أدوار ومراحل مختلفة ، وتشعبت مذاهبها وإمامتها ، فظهرت الدعوة الاسماعيلية أولاً في ثوب دعوة دينية سرية ؛ ثم كانت فورة القرامطة التي تامت عليها وانتسبت إليها ؛ ثم كان ظفر الفاطميين ، وقيام الخلافة الفاطمية ، فالتحذت الدعوة الشيعة بذلك لونها السياسي الواضح الى جانب لونها الديني ، وأدرك الفاطميون ما للدعاية الدينية من أثر في توطيد الملك السياسي ، فعملوا على بث مبادئهم وتعاليمهم بقوة وذكاء ، ووضعوا لذلك نظاماً ومراتب سرية ، كانت دار الحكمة القاهرية مجمعاً ومبعث وحياً

وقد اتخذت هذه الدعوة في عصر الحاكم بأمر الله لونها من الخفاء والنف ، لم تتخذ في أي عصر آخر ، بسببه عليها خفاء الحاكم وعنفه ، وغريب تصرفاته وأهوائه . وكان الحاكم بأمر الله شخصية جريئة مدهشة برغم اضطرابها وتناقضها ، ترتفع أحياناً في سماء التفكير حتى لترغم السمو فوق البشر وتهم في دعوى الألوهية ؛ وتنحط في تصرفاتها الى درك الجنون . وكان ذلك

حق من الله ثم من الأمة ثم من الرجل نفسه ثم من لطف المرأة وكرمها ثم مما بينهما معاً . وليس عجيباً بعد هذا ما روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من الحق »

وهذه عائشة أم المؤمنين قالت : يا معشر النساء لو تعلمن بحق أزواجهن عليكن ، لجعلت المرأة منكن تمسح الفبار عن قدى زوجها بحجر وجهها

قال أبو معاوية : وكان الشيخ قد استبطأني وقد تركته في فناء الدار ، وكنت زودت في نفسي كلاماً طويلاً عن فروته الحقة التي يلبسها ، فيكون فيها من بذاعة الهيئة كالأجير الذي لم يجد من يستأجره فظهر الجوع حتى على ثيابه ... وقد مر بالشيخ رجل من المسودة^(١) وكان الشيخ في فروته هذه جالساً في موضع فيه خليج من المطر ، فجاءه السود فقال قم فاعبر في هذا الخليج ، وجذبه بيده فأقامه وركبه والشيخ يضحك وكنت أريد أن أقول لأمر محمد : إن الصحو في السماء لا يكون فقرأ في السماء ، وإن فروة الشيخ تعرف الشيخ أكثر من زوجته ، وإن المؤمن في لذات الدنيا كالرجل الذي يضع قدميه في الطين ليثني ، أكبر همه ألا يجاوز الطين قدميه

ولكن صوت الشيخ ارتفع : هل عليكم إذن ؟

قال معاوية : فبددت وقلت : بسم الله ادخل ؛ كاني أنا الزوجة .. وسمعت همساً من الضحك ؛ ودخل أبو محمد فجلس الى جانبي ، وغمرني في ظهري غمرة ؛ فقلت : يا أم محمد إن شيخك في ورعه وزهده ليشبه ما يشبع الهدد ، وبرويه ما يروى العصفور ، ولئن كان متهدماً فانه جبل علم ، « ولا تنظري إلى عمش عينيه ، وحموشة ساقيه ، فانه إمام وله قدر »^(٢)

فصاح الشيخ : قم أخراك الله ، ما أردت إلا أن تعرفها عيوي ا قال أبو معاوية : ولكنني لم أقم ، بل قامت زوجة الشيخ فقبلت يده .

طنطا

(١) الذين يلبسون الواد وم شيعة الباسيين

(٢) ما بين القوسين هو الوارد في التاريخ وعليه بنينا هذه الفقرة

الحقيقية وإلى رسائله الغريبة أنه يقدم لنا نفسه أيضاً في صفة النبوة ، ويصف لنا بعض أعماله بالمعجزات

ولدينا من هذه الرسائل مجموعتان : إحداهما فتوغرافية نقلت عن مخطوط محفوظ بالمراق ، والثانية خطية ، وقد اقتنتها دار الكتب أخيراً^(١) ، والمجموعة الأولى أكبر وأعم من الثانية ، وبها كثير من الرسائل التي وردت فيها ؛ غير أن الثانية (الخطية) تحتوي أيضاً على بعض رسائل لم ترد في الأولى . وتسمى المجموعة الأولى في صفحة العنوان « بالرسالة الدامغة » وتتمت بأنها رد على التصيري (الفاسق) وهو ما يقوله لنا كاتبها أيضاً في الديباجة ؛ وفي معظم هذه الرسائل يذكر لنا الكاتب اسمه وهو حمزة بن علي . ولكن هناك مجموعة ثالثة تختلف في موضوعها عن المجموعتين السابقتين ، وليس لها عنوان ، ولم يذكر فيها اسم الكاتب ، ولكننا لا نشك في أنها من تأليف حمزة بن علي نفسه لما بينها وبين الرسائل الأخرى من التشابه الواضح في الروح واللغة والأسلوب^(٢) . وسنرجى الكلام عليها الآن ؛ ونبدأ بحث رسائل هذا الداعية الغريب ، حمزة بن علي ، ونحاول أن نستخرج منها بعض الحقائق التاريخية التي ما زالت تقدم إلينا في أبواب من الربيع والغموض والتناقض ، والتي كانت أعظم ظاهرة في عصر الحاكم بأمر الله ، وكانت مستق لكثير من النزعات والأهواء الدهشة التي أحاطت تلك الشخصية الغريبة بسياج كثيف من الخفاء والروع

من الحقائق التاريخية المروفة أن بعض الدعاة الملاحدة قد دعا إلى ألوهية الحاكم بأمر الله ، وأن الحاكم كان يفتدى هذه الدعوة ويعدها بتأييده . وقد ذكر لنا ذلك أكثر من مؤرخ ، في مقدمتهم ابن الصائ ، وهو كاتب معاصر ، وشمس الدين سبط ابن الجوزي ، والذهبي^(٣) ؛ وكان في مقدمة هؤلاء الدعاة شخص يدعى بالأخرم ، زعم ألوهية الحاكم ودعا إليها جهراً في جامع عمرو

(١) تحفظ المجموعة الأولى برقم ٥٤ عقائد النحل ، وتحفظ الثانية برقم

١٣٣ عقائد النحل

(٢) تحفظ هذه المجموعة برقم ٣٥ عقائد النحل

(٣) نقل البنا صاحب النجوم الزاهرة روايات هؤلاء المؤرخين الثلاثة

(ج ٤ ص ١٨٣ و ١٨٤)

الذهن الهائم يشغف بنظريات الخفاء والمالم الآخر ، وبهم في غير الباحث الروحية والفلسفية ، ويفيض من خفائه وشذوذه على جماعة من الدعاة الأذكاء الذين يحشدون الحاكم حوله لينظموا معه وسائل الدعوة المذهبية السرية ، وليحملوا دونه تبعاً ماتمرض من الأقوال والنظريات الجريئة الممعة في الاتحاد والهدم . ومن الحقائق المروفة أن معظم الكتب والوثائق المذهبية التي وضعت في هذا العصر قد دثرت ومحت معالمها يد الدول الخبيثة ، ولم تفلح عن هذه الدعوات السرية سوى قليل من الرسائل والشذور التي نقلها البنا بعض المؤرخين المتأخرين . على أن هذه الوثائق القليلة التي انتهت إلينا تلقى مع ذلك شيئاً من الضياء على طبيعة هذه البدايات والأقوال الخفية التي عمل الدعاة الفاطميون كثيراً لبثها ، والتي بثت في عصرها إلى أصول الإسلام الحقيقية كثيراً من سحب الزيف والريب

ومن هذه الوثائق طائفة غريبة من الرسائل الفلسفية الكلامية تحفظ بها دار الكتب المصرية ، وهي متنوعة في موضوعها ، ولكنها متحدة في أسلوبها وتدلليها وغايتها ؛ ويبدو من تلاوتها لأول وهلة أن موضوعها إنما هو جزء من الدعوة السرية الفاطمية ، وأنها كتبت في أواخر عصر الحاكم بأمر الله ، وأنها حسياً يدعى كاتبها قد وضعت بوحيه وإرشاده ، وأحياناً بالتلقى عنه . أما كاتبها فمن هو ؟ في معظم هذه الرسائل يقدم لنا هذا الداعية الغريب نفسه ، ويذكر لنا اسمه وهو « حمزة بن علي ابن أحمد » وهو اسم قلما تذكره سير مصر ، ولا تقدم لنا أي تعريف شاف عن صاحبه ، وكل ما نعرفه أنه فارسي من مقاطعة زوزان ، وكان عاملاً يشتغل بصنع اللباد ، وقد على القاهرة حوالي سنة ٤٠٥ هـ وانتظم بين الدعاة ، وخاض غمار الجدل الديني الذي كانت تضطرم به مصر يومئذ . وما تجدر ملاحظته أن معظم الدعاة والملاحدة الذين خرجوا على الإسلام وحاربوه باسمه ينتمون إلى أصل فارسي ؛ بيد أننا نستطيع أن نعرف من هذه الرسائل كثيراً عن شخصيته وعن مهمته ؛ فهو بلاريب من أكابر الدعاة السريين الذين اتصلوا بالحاكم بأوثق الصلات ، وتلقوا وحيه ، وبثوا دعوته ، وكان لهم أكبر النفوذ في التوجيه الخفي لكثير من مسائل العصر ؛ وسنرى حين نمرض إلى مهمته

مع نفر من أصحابه ، فثار الناس بهم وضيقهم وفر الآخرون ؛ ثم قام بهذه الدعوة داعية آخر هو محمد بن اسماعيل الدرزي ، وكان أوفر ذكاء وبراعة ، فصاغ دعوته في مذهب منظم ذي قواعد وأصول خاصة ، وألف كتاباً في ذلك ؛ فقربه الحاكم وتمكن نفوذه لديه حتى غدا أقوى رجل في الدولة ؛ ولكنه لما حاول إذاعة مذهب والدعوة اليه بجامع القاهرة (الأزهر) ثار الناس عليه ، فالتجأ إلى القصر ، فحاصره الجوع ، وأنكره الحاكم خوفاً من الثورة ، وعاوناه على الفرار ؛ فسار إلى الشام ، ونزل ببعض قرى بانياس ، ونشر دعوته ، فكانت أصل مذهب الدرروز الشهير ؛ وقوامه القول بالتناسخ وحلول الروح ؛ وأن روح آدم انتقلت إلى علي بن أبي طالب ، ثم انتقلت روح علي إلى الحاكم بأمر الله

ثم ظهرت الدعوة ككرة أخرى على يد حمزة بن علي ، والظاهر أن حمزة عمل مدى حين مع الدرزي ثم اختلف معه وخاصمه ؛ كما يبدو ذلك في إحدى رسائله ^(١) . وفي هذه الرسائل المجيبة يشرح لنا حمزة مذهب في «ألوهية» الحاكم بأمر الله ، ويقدم اليها شروحه وأسانيده ، ويحاول أن يملل لنا كل ما ارتكبه الحاكم من الأعمال والاجراءات الشاذة ويتخذ منها سنداً لنظريته . وقد نسقت هذه الرسائل ، وهي ثمانية ، على حدة في المجموعة المخطوطة الصغرى التي اقتنتها دار الكتب أخيراً ، وأشرنا اليها فيما تقدم ؛ ويلوح لنا أن هذه المجموعة تكون وحدة متصلة منتظمة ، وأن ما أدرج منها في المجموعة الأخرى قد أدرج على سبيل الاختيار العام من مؤلفات الكاتب ؛ ولهذا نؤثر الاعتماد عليها في عرض قواعد هذه الدعوة الغريبة التي كادت تحدث في هذا العصر نفرة خطيرة في صرح الاسلام ومبادئه الحقيقية كتلك التي أحدثتها ثورة القرامطة قبل ذلك بنحو قرن

يفتح الداعي كتابه بما يسميه « ميثاق ولي الزمان » ، وفيه صورة الشهادته بالتبرؤ من جميع الأديان الأولى والدعوة إلى الدين الجديد ، أي عبادة الحاكم ؛ ثم يتحدثنا عن أصل العالمين وبداية الخليقة في عبارة غامضة ويقول إن أصل العالم هو البرودة والحرارة ؛

ويقدم اليها بعد ذلك خلاصة موجزة عن معركة علي ومعاوية وبداية الحركة الشيعية ؛ ثم يصف الحاكم بأنه « مولانا القائم بذاته ، المنفرد عن مبتدعاته ، جل ذكره » ، وأورا العالم قدرة لاهوتيه عالم يقدر عليه ناطق في عصره ولا أساس في دهره ... » ^(١) ويطلق عليه لقب « قائم الزمان » ، في جميع مراحل الدعوة رمزاً إلى القول بالحلول والتناسخ ، وأنه هو الرمز الحى القائم . ويعرض الداعي بعد ذلك في جرأة إلى قواعد الاسلام ، وإلى ما باقى في شأنها في مجالس الحكمة الباطنية ؛ وهنا نستطيع أن ننظر بلحظة من الضياء على موضوعات تلك المجالس السرية الشهيرة التي لبثت عصراً تعقد بالقصر ثم انتظمت بعد ذلك في جامعة خاصة هي دار الحكمة ؛ وأول ما نعرف هو أن السرية كانت قاعدة أساسية لهذه المجالس ، وأن من يجزؤ على إنشاء مناقشاتها يعتبر منافقاً وخارجاً يستحق اللعنة والعقاب ^(٢) . وقد نقل إلينا القرزى بياناً ضافياً عن المبادئ الكلامية العامة التي كانت تدور عليها الدعوة الفاطمية السرية في مراتبها التسع ؛ ولكن الداعي يتناول هنا بعض الشروح الخاصة ؛ فيحدثنا عن الزكاة مثلاً بأنها في الحقيقة ليست كما تلقى إلى الناس ؛ بل هي الاعتراف بولاية علي بن طالب والأئمة من ذريته والتبرؤ من أعدائه أبي بكر وعثمان ، وأن معناها الياطن هو في الحقيقة « توحيد مولانا جل ذكره » ، وتركيب قلوبكم وتطهيرها من الخلقين جميعاً ، وترك ما كنتم عليه قديماً ^(٣) . وعن الصوم بأنه من الناحية الباطنية صيانة القلوب بتوحيد مولانا جل ذكره . أما الحج ورسومه فيحمل عليها الداعي بشدة ، ويصفها بأنها « من ضروب الجنون » وليس أدل على ذلك من أن قائم الزمان (الحاكم) قد قطع الحج والكسوة النبوية ، أعواماً طويلة ؛ ومعنى الحج في الحقيقة والباطن « هو توحيد مولانا » ^(٤) . وأما ترك الحاكم للصلاة والنحر (في عيد الأضحي) فهو تحليل ذلك للعباد ، وقد أبطل الحاكم صلاة العيد وصلاة الجمعة بالجامع الأزهر ، وأسقط الزكاة ، ومعنى ذلك أنه يحل للعباد (عباده) أن يقتدوا به في ذلك « إذ كان إليه المنتهى ،

(١) ص ٢٥ من المخطوط

(٢) ص ٣٩ من المخطوط

(٣) ص ٣٥ من المخطوط

(٤) ص ٤٤

(١) راجع الرسالة الرابعة الموسومة بالفاية والنصيحة (ص ١٢٥ -

١٣٦ من المخطوط)

النظر ؟ ذلك أنها تعنى أن الحاكم بأمر الله قد اشترك في تأليف بعض هذه الرسائل سواء بالكتابة أو الاشراف على كتابتها ، وأنه كان يعنى هذه الدعوة ويشجعها بنفسه ؛ وهما أيضاً يعرض الداعى جوهر دعوته ولباب مذهبه ، أعنى فكرة الحلول ، فيزعم أنه من الخطأ أن يعتبر الحاكم ابناً للميزر أو ينتم بأنه أبو على ؛ ذلك لأنه في زعمه « المولى سبحانه هو هو في كل عصر وزمان » يظهر في صورة بشرية « كيف يشاء وحيث يشاء »^(١). وفي الرسالة الرابعة وعنوانها « الغاية النسيحة » يحاول الداعى أن يقيم المفاضلة بين الاسلام أو دين محمد والدين الجديد . وفي الخامسة وهي « كتاب فيه حقائق ما يظهر » يحاول أن يبرر بعض تصرفات الحاكم . وفي السادسة وهي « السيرة المستقيمة » يتحدث عن آدم وأصل الخليقة ويزعم أن الاسلام قام بالعنف والسيوف ، وأن الشريعة الاسلامية اختتمت بمحمد بن اسماعيل ، وأن آخر خلفاء اسماعيل هو عبد الله المهدي (مؤسس الدولة الفاطمية) ، وأن قائمهم هو الحاكم^(٢) وفي السابعة الموسومة « بكشف الحقائق » يلجأ الداعى إلى العبارات الرمزية ويقول : « والآن فقد دارت الأدوار ، وظهر ما كان مخفياً من مذهب الأبرار ، وإن للعالمين ما جعلوه تحت الجدار ، وعادت الدائرة إلى نقطة البيكار ، فألفت هذا الكتاب ، بتأييد مولانا البار ، الحاكم القهار ، العلي الجبار ، سبحانه وتعالى عن مقالات الكفار ، وميته كشف الحقائق .. » ولعله يريد بهذا الاسم - كشف الحقائق - عنوان الكتاب كله ، لا الرسالة الموسومة بهذا الاسم فقط ، فإذا صح ذلك فنكون أيضاً قد عرفنا اسم كتاب حمزة . وفي هذه الرسالة يزعم الداعى أن الآله بشر يأكل ويشرب ، وليس كما زعموا من التجرد عن الصفات البشرية ، ويقدم لنا شرحاً فلسفياً للعقل والنفس . وفي الرسالة الثامنة والأخيرة ، وعنوانها « سبب الأسباب » يتخذ الداعى صفة الهادى والعلم الأكبر بتفويض مولاه

محمد عبد الله عناه
الحامى

« للبحث بقية »

(١) ص ٨٦ (٢) ص ٢٠٠ و ٢٠٢ و ٢٠٨

ومنه الابتداء في جميع الأمور»^(١)

ويؤرخ الداعى هذا القسم الأول ، وهو القسم التمهيدى من كتابه بشهر صفر سنة ثمان وأربعمائة من الهجرة (٤٠٨ هـ) ؛ ويقول لنا إن هذه السنة « هي أول سنين ظهور عبد مولانا ومملوكه ، هادى المستجيبين ، المنتقم بمولانا جل ذكره ... الخ » ، ومعنى ذلك أن حمزة بن على كان يتحلل فوق صفة الداعى ، صفة الرسالة أو النبوة ، وسوى أنه يتحللها بعد ذلك صراحة . وهو يرجع بدء رسالته إلى هذا التاريخ ؛ ثم يقول لنا في خاتمة رسالته الأولى المسماة « بدء التوحيد لدعوة الحق » ، إن سنة ٤٠٨ هـ أيضاً « أول سنين قائم الزمان » أعنى بدء الزعم « بألوهية » الحاكم بأمر الله ، على يد هذا الداعى . وقد كان من قبل ثمة دعاة آخرون روجوا لهذا الزعم كما قدمنا ؛ والظاهر أن حمزة هو آخر من ظهر من حشد أولئك الملاحدة في عصر الحاكم ، لأن الحاكم لم يطل أمد حكمه بعد ذلك سوى ثلاثة أعوام وبضعة أشهر ، وكانت مصرعه في شوال سنة ٤١١ هـ في ظروف غامضة ، اتخذها الدعاة مستقياً جديداً للزعم والأرجان

ثم تأتى بعد ذلك الرسائل الثمان ؛ والأولى هي « بدء التوحيد لدعوة الحق » وفيها يدعو حمزة إلى « ألوهية » الحاكم ، ويحاول أن يبرر لإبطاله لأحكام الشريعة بأن محمداً (ص) قد نسخ كل الشرائع السابقة ، فكذلك ينسخ الحاكم الشريعة محمد^(٢) وينشئ له شريعة خاصة . وفي الرسالة الثانية وهي « ميثاق النساء » يتحدث الداعى عن واجبات النساء في الطاعة والتوحيد والبعد عن الفساد والذنس ، وألا يشغلن قلوبهن بغير توحيد « مولانا » وأن يكن صادقات وفيات في طاعته ، وأن يتركن ما كن عليه من قبل^(٣) ، وفي الرسالة الثالثة وهي « رسالة البلاغ والنهاية في التوحيد » يوصى الداعى بمباداة الحاكم ، والاقرار بوحدته ، ويقول إنه رفعها بنفسه إلى « الحضرة اللاهوتية » ، في شهر المحرم الثاني من سنه المبارك (المحرم سنة ٤٠٩ هـ) ، وأنها نسخت عن خط قائم الزمان بغير تحريف ولا تبديل^(٤) ؛ وفي هذه العبارة ما يستوقف

(١) ص ٢٩ و ٣٠ و ٣٤

(٢) المخطوط ص ٥٣ و ٥٤

(٣) ص ٧٣

(٤) ص ٧٥

نظام التربية والتعليم بإنجلترا^(١) والعناية بالنظر في أخلاق الشعب وتقاليد

للأستاذ محمد عطية الاراشي

المفتش بوزارة المعارف

وذهب الخجل تحدث معك في أى موضوع كالتجربة والتجديد ،
والألعاب الرياضية ، والموضوعات الأدبية والاجتماعية
يتجنب الأمور الشخصية ؛ فلا يسألك عن مقدار ما تحتك
أبوك في الشهر ، ولا عن مقدار ما تنفقه أو تدفقه للسكنى
أسبوعياً - كما يسأل الفضوليون حينما يرونك أو يعرفونك أول
مرة . ويميل الإنجليز دائماً إلى التحفظ في الجواب ، فلا يجيب
إجابة الجازم التحقق ، ولكنه يحمل للشك دخلاً في كل ما يقوله ،
ويجيب دائماً بكلمة : « أظن ، أو ربما » ، بعكس الرجل الفرنسي
فانه يميل كثيراً إلى الجزم واليقين

والإنجليز معروفون بحبهم للمحافظة على القديم . وفي إنجلترا
تندر المجلة في تنفيذ نظرية من النظريات ، أو مشروع من
الشروعات في التربية والتعليم ؛ فبينما تحاول الولايات المتحدة
بأمريكا تجربة طائفة كبيرة من طرق التعليم والنظريات الحديثة
- وقد لا توافق على شيء منها بعد التجربة وعدم الاستحسان -
تجد إنجلترا في هذه الحال مثلاً في دور المناقشة والمناظرة في طريقة
واحدة من هذه الطرق ؛ لأن إنجلترا تخاف الخسارة وضياع
الوقت ، أما الولايات المتحدة فلا تبالى بما تفقده في سبيل البحث
والجربة ، ولذا تجددها اليوم تقود العالم في العلم والاختراع
والصناعة ، ولقد ساعدها غناها على هذا التقدم والأقدام ،
فالمحافظة على القديم في إنجلترا لها فوائد ، ولكن يجب ألا ننسى
أن لها أيضاً كثيراً من المضار ، فإنجلترا تميل إلى الوقوف عند
حدا ، وهي بطيئة في الإصلاح ؛ لأنها لا تستفيد في الحال مما
يقدمه لها المفكرون ، وما يظهروه المصاحون من أبنائها ، ولا تشجع
الباحثين والمخترعين تشجيع الولايات المتحدة لهم . وإن ولع
إنجلترا بالمحافظة على ما لديها يظهر جلياً في القوانين المختلفة للتربية
التي وافق عليها مجلس النواب الإنجليزي ؛ فلا تجد مطلقاً حذف
قانون من القوانين برمتة واستبداله بقانون آخر ، بل تجد أن كل
قانون هو تعديل للقانون السابق ، للتوفيق بينه وبين الرأي
الجديد الذي يراد إدخاله ، ولا يشك أحد في أن التعليم بإنجلترا
يستفيد من أن قوانينها في التربية ثابتة .

ومع ذلك قد حدث تغيير في التعاميم بإنجلترا ، فند سنة ١٩٠٠
نرى المحافظة على القديم أقل منها في الزمن السابق ، وفي الحق
إن التغيرات الحديثة بإنجلترا كثيرة وظاهرة لمن عرفها من قبل
ورآها اليوم . ولا يشعر من الإنجليز بالفائدة الكبيرة من هذا
التغيير إلا قليل منهم ، وكل ما تعرفه الأكثرية هو أن هناك

يجب أن يعنى نظام التربية بالنظر في أخلاق الشعب وتقاليد ،
وفي الصفات السائدة بين الأمة ، وألا يكون ضد العادات
القومية . كل هذه الأمور قد لوحظت في التعليم بإنجلترا ؛ فان
الصفات والأخلاق التي تعرف بها بين الأجناس البشرية معروفة
منذ أجيال ، متأصلة فيها كل التأصل . يقول « بيتر سانديفرد » :
« الرجل الإنكليزي مولع بالنافسة ، يجب من صميم قواده
الرحلات والسيارات . ولا يستطيع أحد الاستقرار في إنجلترا
إلا من كان يميل إلى المنافسة ، وإن هذا الميل إلى حب التنافس
لا يظهر للناظر العادي ، لأنه مغطى بطبقة كثيفة من الهدوء
العقل . » والرجل الإنكليزي يحقت النظريات والتفكير في
النظريات ، ويجب أن يقبض على الأمور العملية في الحياة ، ويحلها
وهو سائر في عمله . ويقول « بيتر سانديفرد » أيضاً : « إن
الرجل الإنكليزي يرى هادئاً ، وهو في حاجة إلى قوة الخيال ،
ومن الصعب أن تؤثر فيه ، فهو كالفحم الحجري الصلب يتقد
يسطه ، ولكن حينما يتقد يحترق إلى النهاية . » ولدى الرجل
الإنكليزي قوة كبيرة على كتمان شموه ، ويمكنه أن يمتلك نفسه ،
وهو شديد المحافظة على القديم ، يحب الحرية الشخصية فوق كل
شيء ، ولقد قاتل في سبيل تلك الحرية أكثر من ألف سنة ؛
ويقول « سانديفرد » في موضع آخر : « الرجل الإنكليزي
هادئ من الجهة العقلية ، ولديه حب عميق للحرية ، ولقد
كانت هاتان الصفتان سبباً في اتخاذ سياسة البطء ، لا في
السياسة الحسب ، بل في التعليم كذلك . » وهو بمنزل بطيئته ،
يحب العزلة والوحدة ، لا يبادئك إلا إذا تمارف بك . وقد يكون
هذا الانزغال ناشئاً عن الحياء والخجل ، وإذا حدثك فلا يخرج
محدثته في الغالب عن الجو ، والجو لحسن الحظ كثير التغير
والانقلاب بإنجلترا ، فمن اعتدال في الطقس إلى ضباب أو مطر ،
أو برودة ، أو عاصفة أو رعد وبرق . وإذا زالت الكلفة
(١) من كتاب « نظام التعليم في إنجلترا » تحت الطبع

أين كانوا يوم كنا؟...

للأستاذ كرم ملحم كرم

صاحب مجلة « العاصفة » البيروتية

لا نحمد حولنا غير المجبيين بالأدب الأفرنجي . ومن حق هؤلاء أن يجبروا بهذا الأدب الكثير الألوان ، الجديد ، الطري ، السائر والحضارة في طريق واحد لا يبتعد عنه ولا يبتعد عنها . من حقهم أن يجبروا بأدب يوفر لهم ما يحتاجون إليه من غذاء روحي أعدّه لهم طهارة عرفوا ميوهم فسيروها ، ونفحوها بما تستطيع من علم ، وبما تراث له من ابتكار مستساغ تهضمه المد والمقول . فالأدب الأفرنجي في القرن العشرين ينفذ بصير يجد فيه كل طالب ما تشتهي نفسه . فليس له إلا أن يختار . فان أمامه من مختلف الأطعمة ، بل أمامه الأطعمة على أطلانها . فاذا حنّ إلى التاريخ وجد التاريخ ، وإذا حنّ إلى الشعر لس من هذه البضاعة ما يروم ، وإذا شغف بالرواية وقع منها على ألوان وألوان كبيض العيد ، من أحمر وأخضر وأصفر وبنفسجي وبرتقالي

فما عليه ليذكر مبتغاه إلا أن يحرك شفتيه . وهذا الخصب في الأدب الأفرنجي يعود إلى أمرين : الأول أن الغرب اليوم في عز ومثمة ، فهو المسيطر الحاكم المستقبل . والآخر أن فيه شعباً يقرأ ويقدر مؤلفيه . فاذا أجهد الكاتب ذهنه وكدر قريحته قلن يضيع وقته في العبث ، فلا بد له أن يستفيد ، وأن يضمن لنفسه الغذاء والقوت

وسر نجاح الأدب في نجاح الدولة التي تحميه ، فن الحال أن ينشط أدب ويفكّ من عقاله ويزدهر وينمو إن لم تكن هناك دولة يعتمد عليها ويستند إليها . فالأدب العاطل من سلطة تمضده وتؤيده أشبه بالرجل التائه الشريد ، بل أشبه باليتيم ، يقضي العمر وحيداً يفتنه الكون ، وينفر منه الناس ، فيعيش في اكمداد واضطراب حتى تدق ساعته الأخيرة فيلغظ الروح

ثم إن هذا الأدب بحاجة إلى من ينفذه بالمال ليمش ، فالأدب ككل ذي صناعة إن لم تمدّه بما يوفر له طعامه ، يعجز

شيئاً يجري في عالم التربية ، وأن الأمور تتغير بسرعة . وهم يشعرون بالحيرة في الابتداء وهم سكوت لا يتكلمون . ولا تفكر أن النزاع بين المحافظين والمجددين دائم لا ينقطع ، ولو أنه نزاع سامت ويظهر الميل الفطري لحرية الفكر ، واستقلال الرأي في أحوال كثيرة في التعليم بالجلترا . وإن قوانين التربية مفتوحة للتغيير البطيء ، فحينما تظهر التجارب صواب الفكرة الجديدة ، ويرى معظم الناس فائدتها ، يتقلب الانجليز على كراهتهم لها ، فالحرية الشخصية تخضع دائماً للمجتمع ، حباً في المصلحة العامة ، فثلاً كان الذهاب إلى المدرسة اختيارياً يذهب إليها من يشاء من التلاميذ ، لكن لما تبين أن من المحال تعميم التعليم إذا ظل اختيارياً ، غيّر هذا النظام وجعل إجبارياً . وكان التفتيش الطبي على المدارس والتلاميذ اختيارياً ، ثم غير وجعل إلزامياً ، وكان إعداد المدرسين اختيارياً أيضاً ، ثم ظهر أن المدرس لا يستطيع أن يقوم بمهنته كما ينبغي إلا إذا قسما من التربية وعرف طرق تدريس المواد ، فجعل إعداد المدرسين إجبارياً ، وعُد من الواجبات لرق التعليم . وهناك عشرات الأمثلة لأمو كانت اختيارية بالجلترا ، ثم أصبحت إجبارية يطالب بها القانون

وإن اختلفنا - وإن كانت أمة عملية لا تدبّر بالنظريات - لا تمنع من أن تعمل بما يمكن تنفيذه منها . ولا ينكر أحد أن النظرية التي لا يمكن تنفيذها لا فائدة منها ، ولا خير في العلم إذا لم يصحبه العمل . لذا كانت طريقة التعليم في اختلفنا طريقة عملية ، تتفق هي والأمور العملية التي تحتاج إليها ، تتفق مع حاجات الشعب وحياته . ولا يمكن أن تفهم هذه الطريقة منفردة عن التاريخ القوى لهذه الأمة ، لأنها نتيجة الخلق القوى والحالة الشعبية . والمهم لدى الانكليز الوصول إلى العمل بأي طريقة كانت من غير عناء كبير أو بحث طويل في النظريات ، وتاريخ التعليم الانكليزي مملوء بالأمثلة الدالة على حب العمل ، وعدم الاكتراف للنظريات . فدارس اختلفنا إذن مدارس عملية ذات قوة كبيرة ، وتأثير عظيم في تهذيب الأخلاق وتكوينها ، وإعداد رجال مخلصين عمليين يثقون بأنفسهم ، ويشعرون بما يجب عليهم لغيرهم ، ولا يفرون من تحمل مسؤولية أي عمل يقومون به . هي مدارس تربي في كل طفل الثقة بالنفس ، فيقول لك داعاً : « سأحاول » إذا سأله : هل يستطيع أن يقوم بعمل من الأعمال ؟

محمد عطية الدبراشي

بها من يشاؤون ، وبقومون أى ركن راموا تفويضه . ما جهل أن الأدب خالد فى بطن التاريخ خلود المالك ، وأن الأدباء أخذان الملوك فى البقاء على عمر الأعوام والدهور . وقد يموت الملك ويطوى ، ويمضى اسمه حتى من صدور الكتب ولا يموت الأديب

ما جهل كل هذا ريشليو صاحب اليد الحديدية ، وقاتل الملكة «مارى دى ميديسيس» هماً ونكداً ، والسيطر على الملك لويس الثالث عشر . فدعا إلى إنشاء ذلك الجمع الأدبى ، ولا يزال الجمع حتى اليوم ينتسب إليه أربعون أديباً ومؤلفاً وعظيماً ، وإنه لساخر على اللغة الفرنسية والأدب الفرنسى سحر الأم على بنينا ، فلا يغفل عنهما لحظة لئلا يسلكا طريقاً غير قويم

وبعد «ريشليو» أطل «الملك الشمس» لويس الرابع عشر ، فزاد فى توطيد دعائم الأدب الفرنسى . وكان حيال أدباء بنى قومه أشبه بملوك العرب حيال أدباء العرب ، فجاء بكبار الأدباء يفسح لهم صدر بلاطه ، ويخصص لهم المرتبات ، ويجزل لهم المطاء ، ويدعوهم إلى التأليف . وهو نفسه كان يحاول نظم الشعر ، فلمت فى عهده أدمنة أدبية لا تزال حتى اليوم تفيض إشراقاً . ومستظل فى هذا الفيصان حتى الأبد . فان ما جاء به أدباء فرنسا فى القرن السابع عشر يكاد يكون خير ما أنتجته قرائهم من سام رفيع وطيد نفيس ، فحاروا الأدب اليونانى والأدب اللاتينى فى أروع ما عندهما من آثار . واقتبسوا منهما الفن التمثيلى والأمثال الحكيم فى روايات وجيزة على ألسنة الحيوانات . واقتبسوا منهما الفلسفة . ولم يكن للأدب الفرنسى أى ميزة يبر بها الميون ، فأسى فى القرن السابع عشر منارة تهتدى بها أوربا جمعاء ، بل بهتدى بها العالم

فالروح الأدبية استيقظت منذ ذلك الحين فى فرنسا ، ومشت فى طريق آمنة مرفوعة الرأس متوجة بأكاليل النار ، ولما تزل مسرعة فى سيرها الوئابل . أجل ، لقد كان لها ومضات فى القرن السادس عشر ، إلا أنها أشبه بانتفاض الجنين فى بطن أمه ، يخرج اختلاجاً يدل على أن الحياة أخذت تدب فيه

وليس من حق الفرنسيين أن يزعموا أن أدبهم يرتقى إلى أبعد من القرن السادس عشر . فان يكن لهم بعض قلتات أدبية ترجع إلى ما قبل ذلك العهد فانها لا تستحق العناية . ثم هى

من أن يمدك بينات صدره وعقله . فهو يحتاج إلى الغذاء : إما بأن يرفده الملوك وأصحاب الفنى والجاه والراتب السنية ، وإما بأن يقبل الشعب على مؤلفاته يؤدى عنها ما تساوى . وهو إن لم يوفر غداه المادى ، فكيف يتوفر على صوغ جواهره فى عقد نصيد نظم تقر به الميون وتبهج القلوب ؟

فالأدب الأخرنجى إذاً مدين فى خصبه الى الحظ ، فالخط يخدمه فى دول تحميه وتدفعه فى طريق الحياة ، ويخدمه فى شعب يقبل عليه ويشتريه . وأى أدب لا يثمر مادام الاهتمام به متوالياً بلا انقطاع ؟ فالصخر إذا عكف عليه من يفتته أنبت أروع الأزهار ، وأينعت فيه أطيب الثمار !

وهذا هو الأدب الفرنسى كم انقضت عليه أزمان فاجاد بالسمين ؟ . . . لقد ظل عصوراً طويلة ضائماً ، غلض اللون والوجه ، لا يستقر على حال ولا يقوم له كيان ، مع أن فرنسا عرفت أياماً نضرة فى عهد «كلوفيس» و «شارلمان» . وانتقلت إليها روائع اللغة اللاتينية ، وعكف الرهبان فى أديارها على تدريس الأدب اللاتينى لنشر تعاليم الدين المسيحى . إلا أن هذه المهمة الشاه لم تنهض بالأدب الفرنسى المضطرب اللجة والاسان . فظل ضائماً مائماً تفللاً لأب له ولا أم ، لاجامعة تربطه ولا قوة يمول عليها فتوحده وتجمع شتيته . حتى جاء «ماليرب» فاجتهد فى تكوينه ونى بناء قواعده . ولاح فى الظلاء بصيص نور تظطر للكردينال «ريشليو» أن يحيى هذا الوليد . فأنشأ الجمع العلمى الفرنسى ، وقامت بإنشاء هذا الجمع اللطامة الكبرى فى بنيان أدب فرنسا

ومن هو «ريشليو» ؟ . . .

هذا كاهن على الرتبة ساد فرنسا ثمانية عشر عاماً فهو أدهى من قام فى البلد الفرنسى من رجال السياسة على إطلاقهم ، ولا نستثنى حتى «تاليران» وزير نابليون الأول . فان فرنسا مدينة بمظلمتها لهذا الكاهن الذى لم يكن فى سياسته كاهناً . فتلاعب بتلك الدولة الكبرى كيتلاعب بسبخته . فهدم وبنى ، وأمات وأحيا وظلم . وشعر بنفور الشعب منه . وأدرك أنه بحاجة إلى ما يرفع من شأنه ، فالتفت إلى الأدباء بصلح من شأنهم ويمطف عليهم . فما جهل أن للأدباء ألسنة طوالاً يقتلون

ووقوف الأرحام عن انحسار فرنسا بهذا الشاعر المتفوق لا يدل على أن الأدب الفرنسي في مجود . فالأدب الفرنسي اليوم كثير الرواج ، فائق الإنتاج ، يهدى الى العالم الفث والسمين ، المثين والركيك ، العالي والسخيف ، ككل أدب في غليان ، ككل بضاعة تجدد أسواقاً تقبل عليها وتلتهمها . ولا ريب في أن هذه البضاعة تنفذ وتذوب . ولا يبقى منها على توالي الأيام غير الجيد الجيد . والجيد دون القليل . فليس كل ما يأتينا به أي أدب من الآداب بالخالد الباقي الرفيع

والفضل في رواج الأدب الفرنسي أن له دولة تحميه . فهو لم ينهض إلا يوم قامت في فرنسا دولة موحدة . وسيظل حياً ما بقيت هذه الدولة تنشر حضارتها في العالمين ، فالأدب لا تقوم له قاعة إذا لم يكن إلى جانبه سلطان يزود عنه ويدفعه في طريق النهوض ، شأن الأدب الهندي ، والأدب الصيني ، والأدب الفارسي ، والأدب العبراني ، والأدب اليوناني ، والأدب اللاتيني ، والأدب العربي

وأين كان الأدب الفرنسي يوم كان الأدب العربي في الوجود؟
كان نكرة من التكرات

كان لا شيء
فالأيام لم تكذب تلقى بذوره في الأرض

وكم استفاد الأدب الفرنسي من الأدب العربي !
فإن مؤرخيه أنفسهم يعترفون بفضل الأدب العربي عليه
فلولا الأدب العربي لطلال جهل الفرنسيين فلسفة أرسطو .
فقد نقلوا فلسفة الحكيم اليوناني إلى لغتهم بأعتماد اللغة العربية ، وكانوا يهتمون بهذه اللغة ويطلعون على دقائقها ويدرسونها يوم كان العرب يحتلون الأندلس . وكم استفادوا من روائعها وكم اقتبسوا منها ! فإن شعريهم لم يعرف الألوان قبل وقوفهم على انشعر العربي . وبعض المؤرخين يقول إن ذلك الشعر اعتمد القوافي يوم درس الفرنسيون الآداب العربية واطلموا على منظوم شعراء العرب

فالأدب الفرنسي لم يكن له وجود يوم كان الأدب العربي رياناً وضياءً ، ينشر لواءه من قلب فرنسا وإيطاليا إلى خليج العجم وإلى ما هو أبعد من خليج العجم . أما احتل العرب بلاد الهند؟ أما نشروا فيها حضارتهم ؟ . أما حملوا إليها القرآن

موضوعة في ثلث متبينة خاضعة للجهات العامية التداولة يومذاك في شمال فرنسا وفي صميمها ، وليس هذا الأدب بالأدب المكتوبة له الحياة . فهو من النفايات التي تطرح جانباً ويضطر التاريخ الأدبي إلى ابتائها للإشارة إلى روح الأدب في عصرها ليس غير وما هي روح الأدب في فرنسا قبل القرن السادس عشر ؟ . روح فروسية وبطولة تفيض بالحاسة وتنسج الملاحم على طراز ملحمة عنتر في اللغة العربية . إلا أنها ملاحم من شعر لاروعة فيه ولا وحدة ولا قافية ، فيكفي أن يكون موزوناً

والمصور التي سبقت العصر السادس عشر في فرنسا لم تكن بالمصور اللامعة في حضارتها . فما هناك غير حروب وغزوات . فالقوم كانوا يعيشون على صهوات الخليل ، يبايعون يوماً هذا الأمير ويتصرفون يوماً لذلك ، والحروب كانت أبداً عندهم على لظى واضطرام . فما التفتوا إلى الأدب مثلهم إلى السيف . وهم إذا صاغوا بعض آثار أدبية فقد صاغوها لخدمة السيف ورجال السيف

على أنهم ما تذوقوا طعم الأدب الصحيح حتى باتوا يحدون فيه ضرورة من الضرورات لا غنى لهم عنها في حياتهم العامة والخاصة . فأصبح الأدب لديهم أشبه بالقوت . وتكاثر رجال الأدب فيهم . وبرز القرن الثامن عشر حافلاً برجال الفكر من أمثال « فولتير » و « جان جاك روسو » وطلعت الأدب على السيف واستولى على الأفكار والمقول . ولفت الانتظار إلى مظالم الملوك . فخرج الشعب من غفلته وأبعد الطريق إلى ثورة ١٧٨٩ ، وهي الثورة الفرنسية الكبرى . وهذه الثورة مع اعتمادها روح الأدب زماناً ، أحييت في الصدور أدباً جديداً شق طريقه « شاتوبريان » ولحقه فيه « لامرتين » و « ألفرد موسه » و « فيكتور هوجو »

فالشعر في فرنسا لم يعرف مجده الأسمى في عهد غير ذلك العهد ، وتوالت الأيام فما ظهر بين الفرنسيين شاعر يستوى ومن سطع في القرن التاسع عشر من شعراء . نعم ، إن القرن العشرين لا يزال في مرحلته الأولى . وليس من العجيب أن يتلأأ فيه نجم يكسف ما أشرق في سماء الأدب الفرنسي من كواكب ونجوم . على أن هذا النجم لا يزال في برجه تسد دونه التوافذ والأبواب

ولغة القرآن ؟ .. أما جاء زمن سادت فيه لغة القرآن العالم فاحتلت ثلاث قارات : هي آسيا وأفريقيا وأوروبا ؟ ...
 وأين كان شعراء قروننا يوم عرفت الجاهلية أصحاب الملقات ؟
 وأين كان فيكتور هوغو يوم نشأ المتنبي ؟
 وأين كان « فولتير » يوم عرفت الآداب العربية أبا الملاء المرعى ؟ ...

لقد سبقناهم بألف ومئة سنة . هذا إذا خضنا لقول القائلين إن الأدب العربي عرف الحياة في القرن الخامس للميلاد . مع أن الأدب العربي انبثق قبل هذا الزمن بمئات السنين . فمن المحال أن يبلغ أى أدب من الآداب الكمال الفنى فى وثبة واحدة . فلا بد له من عصور ريثما ينضج . إن هو إلا أشبه بالطبخة . وهذه الطبخة لا تكفيها سنة ولا عشر سنوات . فهي بحاجة إلى مئة سنة على الأقل لتصلح للضغ والازدراء . ونحن عرفنا أول شعر عربي اتصل بنا مستوفى الشروط كامل المدة . إذاً فلا بد أن تكون الأجيال التي بدأت قرض هذا الشعر قد تولت عبئها قبل اختباره بمئات السنين

ومن المؤسف ألا يكون للأدب العربي تاريخ صحيح يرجع إليه . فالكتابة كانت مجهولة لدى عرب الجاهلية وهم أبناء البادية والقفار . وهم البعيدون عن كل حضارة . فما وصلت إلينا أشعارهم التي قرصوها في بدء عهدهم بالشعر . فالحفاظ والرواة جاؤونا عنهم بكل غريب . فحدوثنا عن العرب البائدة أحاديث لا يقرها عقل ولا صواب . ونحلوا الشعر العربي حتى جدنا آدم ، وقالوا إن سفر أيوب كتب باللغة الغريبة . وإن موسى نقله منه إلى العبرانية . وتفننوا فيما اختلقوا من روايات عن عاد وحمود وطسم وجديس . فإذا آمنا وصدقنا هذه الروايات كان لنا أن نقول إن اللغة العربية حفلت بالأدب الراقى قبل العصر المسيحي ، وإنها من اللغات الأولى التي تخاطب بها الناس . على أننا نكتفى منها بأن تكون آدابها ارتفعت إلى المستوى العالي في القرن الخامس للميلاد ، يوم قامت فيها الممالك تحالف القوس من جانب والروم من جانب آخر . فالآداب العربية أثمرت في ذلك الحين ثماراً طيبة لا يزال المطر منها يقوح ، ولا تزال مثلاً يحتذى

وإننا لنرى في امرئ القيس على ما في شعره من الكلام الخشن — مما لم تكن تنبؤ عنه الآذان في ذلك العصر — سيداً

من سادات الأدب لم يعرف أمثاله الأدب الفرنسي في غير القرن السابع عشر . وامرؤ القيس عمره الأدب العربي في القرن السادس . وهذا أصدق دليل على أننا سبقنا القوم بألف ومئة عام وكانت الآداب العربية وافر الجنى في عهدها الأول . وظهر الأسلام فزادها ثروة على ثروة . وخصوصاً في كتابه القرآن . فالقرآن أفضل ما تحفل به اللغة العربية ، إذا اكتفينا بأن ننظر إليه ككتاب يحفظ للغة العربية متانتها وبلاغتها ، ويدعو الخاضعين لتعاليمه إلى قراءة وترديد آياته . فهو وحده يقى اللغة الموت ، ويرد عنها البلاء ، ويصونها من الضياع . ولولا لاضمحلت اللغة العربية في عصر الأخطاط وتلاشى كل أثر منها

ومال الخلفاء في صدر الأسلام إلى الشعراء فزادوا في إحياء لغة العرب ، وهم كانوا في حاجة إلى الشعراء . لقد كانوا في حاجة إلى شعرهم ينالون به من خصومهم ويهدمون من أمجادهم ، تشبهاً بالرسول في موقفه من شاعره حسان . ولم يكن للصحف وجود في ذلك الحين . فبحث الخلفاء — وفي طليعتهم معاوية — عن يقوم بالطمع على خصومه في كلام يردده الخداة ويتناقله الركبان ، فلم يجد أمامه غير الشعراء وسادة القريض . وما زاد في حاجته اليهم اضطرابه إلى الكفاح والنضال بعد ابتزاعه الخلافة من علي بن أبي طالب . فأصبح للشعر ولقائليه شأن . خصوصاً وقد تمددت في ذلك الحين الأحزاب السياسية والدينية ، وأمسى كل سيد قوم بحاجة إلى من يطلب في الثناء عليه ويغالى . ولم يكن ثمة غير الشعراء يصوغون من المديح عقوداً ويتقاضون عنها نقوداً . فكثير الأقبال عليهم وأكثروا هم من الثقل في مدح هذا يوماً وذلك يوماً آخر استدراكاً لرفده وعطائه . وراجت بضاعة الشعر فتكاثر الشعراء ، وأورقت رياض الأدب ، ومعظم الذين حفلت بهم من المتكسبين . غير أن هؤلاء المتكسبين جادوا بأحسن ما عندهم رغبة منهم في غنم أوفر مبلغ مستطاع

وأكثر عصور الأدب ازدهاراً في اللغة العربية هو العصر العباسي ، بل الأعصر العباسية على إطلاقها . فقد بلغ الأدب العربي في ذلك الحين القمة ، وما اكتفى رجاله بالشعر يصوغونه على الفطرة والسليقة ، بل تسمقوا في الأدب بدرسونه ويتقنونونه ويؤلفون فيه الكتب والأسفار ، فولوجوا الأبواب كلها : من نظم ونثر ، من نقد ورواية ، من علم وتاريخ ، وامتزجوا بمن حولهم من

وقد نفل ضمهء خاملين لا تقوم لنا قاعة إلا يوم تقوم دولة عربية حرة بتقياً أدينا ظلال قبائها المالية . فاذا كتب أو أنشأ علم أن الأيدي تمتد من كل جانب للوقوف على ما كتب أو أنشأ ، وما دامت هذه الدولة غير موجودة أو واهية القوى ، فالأدب العربي يعيش على سواعد عشاقه . وسواعد عشاقه لا تكن للهوى به . فكل ما تفعل أنها ترد عنه هوى الزمن ، وتنقذه من الفناء ربما بأنه يوم يرفع فيه رأسه ، وينزوي من يفزوه ، ويبطش بمن يكتسحه

فالأدب يلعب عندما تلعب الدولة التي يحمل لواءها
وليس الأدب العربي بالشاذ عن القاعدة مع كل ما في القواعد
من شواذ

(بيروت) كرم ملهم كرم

الأمم ، فوقفوا على الأدب الفارسي والأدب اليوناني ، وأضافوا إلى كنوز الأدب العربي كنزاً آخر ، وهو كنز لا يقل في شيء عما تفاخر به اللغة الفرنسية من نفائس وروائع ، فما نفحها به أباؤها في عصر « الملك الشمس » والقرن الثامن عشر والتاسع عشر لا يزيد قدره الفني على ما طفحت به اللغة العربية في العصر العباسي ، وكل ما للأدب الفرنسي من ميزة أنه أكبر تنظيمًا وتبويبًا ، وأحكم وحدة وارتباطًا ، فالأدب العربي يكاد يكون خاليًا من الوحدة والارتباط ، فلا صلة بين أجزائه وموضوعاته ، ولا لحة في مؤلفاته . فهي متناثرة كنجارة البناء الطروحة على الطريق تحتاج إلى البنائين ليرصفوا بعضها فوق بعض وبقيما منها داراً عامرة

أما الإنتاج فلا نبالغ إذا قلنا إنه يوشك أن يكون والإنتاج الفرنسي في مستوى واحد ، وما على من يرتاب فيما نقول إلا أن يطلع على ما أبقاه المهد العباسي من جليل نفيس . فالتوازن تكاد تضيق بروائع تلك الأعصر الزاهرة

والفضل فضل الدولة القاعة ، بل الدول التي قامت في تلك الأعصر . ولو ظلت في مناعتها لكان الأدب العربي اليوم في رقي الأدب العربي لأن لم يكن أرق منه . ولكن سقوط بغداد في أيدي أعداء العرب طعن الأدب العربي في صميمه . وكان عهد الانحطاط . واستمر هذا الانحطاط طويلاً . استمر ستمائة عام . وفي هذه الأعوام الستمائة جددت اللغة العربية مجوداً قاتلاً . وكادت أركانها تنهار لولا القرائن وبعض الهاميين بها . وفيها رقد رقادها الفاجع تحركت الآداب الأخرى وبنيت لها قصوراً منيعة تنظر إليها اليوم معجبين ، ونكاد تتناسى في ظلها أن لنا أدباً حياً لا يقل شأنًا عن سائر الآداب الحية ، ولكننا وقفنا بيننا وبيننا سرانا ، وبيننا نرى أننا عاجزون عن اللحاق به . وهذا ألياس وإن في ضعفنا وخمولنا

شركة مصر لعموم التأمينات

هي

شركتكم المصرية الصميمة
والملجأ المنيع من غوائل الحوادث

تقوم بالتأمين

على الحياة .

و ضد الحريق

وأخطار النقل

وتعطى ضمانات لأرباب المهد

وجميع أنواع التأمينات الأخرى

رأس مالها ٢٠٠٠٠٠٠ جنيهاً مصرياً

اطلبوا البيانات الواقية من

مركزها الرئيسي رقم ١ ميدان سليمان باشا مصر

فيها ألوان الطعام - أعني أسماءها - فنحيها عني يا صبي ، وقلت له : « اقرأ واختر لنفسك » -

قال : « وأنت ؟ »

قلت : « ابدأ بنفسك ياسيدي ، واتركني لاختياري بمذالك »
فرفع الورقة أمام عينيه ، واضطجعت أنا ، وجعلت أنظر اليه ، وأجبل عيني في جسمه الضخم الهائل الأنحاء ، وأسأل ماذا ترى بكفي هذه المدة الكبيرة وبغلاً هذه الكرش العظيمة ؟ وماذا يكون العمل إذا جاوز الأمر ما مي ؟

وردي إلى الورقة وقال :

« الاختيار صعب ، فأطلب لي أنت ما تشاء ! »

فتناولت الورقة ، وأما فرح سرور ، وقلت في سري :
« يا مفرج الكروب يارب » وصرت أنظر في الأغنان ، فأهمل ما عنده غالباً ، وأتصر الاختيار على كل معتدل الثمن أو ضئيله وقلت له :
« في الطعام يحسن اتقاء الدجاج والسك ، خوفاً أن تكون تلك مخنوقة وهذه قديمة ، ولست أرى هنا ما يصلح للأكل إلا المرق والأرز والخضر والفاكهة ، والجو اليوم حار جداً ، فيحسن الأجتراء بالخفيف من الطعام ، والذي لا خوف من النش فيه »
فخطفت مني الورقة وهو يقول : « يا أخي مالك أنت ؟ أي بطني أم بطنك ؟ وصحني أنا أم صحتك ؟ ومن قال لك إني مترف يؤذيه الحر ويشغل فيه على معدته اللحم والطير والسك ؟ »

قلت : « إنما أخاف عليك الموت ، فازلت شاباً ، وقد مات منذ أيام شاب من إخواننا من أكلة ... »
فقاطعتني قائلاً : « لا فائدة ... لا فائدة ... سأكل ما أريد على رغم أنفك »

فهزيت رأسي وقلت : « شأنك ، إن همي كله ألا يصيبك ما أصاب ذلك الموظف الذي أكل سمكة منعقة ... »
فصاح بي : « يا أخي اسكت . أي حديث هذا على الطعام ؟ »
قلت : « سكت ياسيدي ، ولكن لا أقل من أن تشاورني لأنصح لك »

قال : « كلا ... ولا هذه ... وهل أنا مستول منك ؟ »
قلت : « إنك ضيق وأنا مستول عنك »
قال : « متنازل ... اسكت بي »

فلولا أن كرمي طبع لا تطبع ، لسرني هذا القول ، ولكني أبيت أن أقبل « تنازله » ودعوت الخادم وقلت لصاحبي :
« صر بما تشاء ... واطلب منه كل الألوان التي يقع عليها »

قلت : « نركب ؟ »

قال : « نعم ... إلى مطعم ... تعال ... »
وشدني ، وكان أقوى مني وأضخم ، فتصرت وراءه وأنا أقول :

« يا أخي ، التزام أسرع من هذه الخيل المخططة ... »

قال : « لا ، هذا أحسن »

وركبنا ، وضرب الرجل جواده بالسوط ، فسحقت به :
« يا رجل ، حرام عليك ، أنزل وجرها ! »

فابتسم الرجل ، وأقبل على اللجم يشدها ويرخيها ، ويخرج وهو يفعل ذلك أصواتاً ليس في الحروف المعروفة ما يترجمها ، فاست أدري أي جوجه ، أم تاء تاء ؟ أم ماذا غير ذلك ؟ وأدبرت وجهي إلى صاحبي وقلت له :

« كيف تكتب هذا ؟ »

وقللت صوت السائق ، فقال : « لا تكتب »

قلت : « ما أشد قصور اللغة إذن ، وأقل وفاءها بمطالب التعبير ! »

قال : « أي تعبير يا أخي ؟ مالك اليوم ؟ »

قلت : « ألتست ترى الخيل تفهم عنه ؟ فهي لغة تفهمها ، ويجب أن نعرف كيف نكتبها ونرسم الزموز لنطقها ، وإلا كان هذا منا قصوراً »

قال : « طيب ... طيب ... »

فقلت معتداً : « كيف تقول طيب ؟ أيجوز أن تسع اللغة كل هذا الذي تسعه وتمجز من أداء هذه الأصوات القليلة ؟ »

قال : « نعم يجوز ... »

قلت : « كيف تقول ؟ »

قال « نعم ، لأنها لغة مجعولة لأبناء آدم ، لا للخيل والحجر »
قلت « ولكن الخيل ليست هي التي تنطق بها ، بل هذا السائق الآدي »

قال : « اسلكه مع الخيل والحجر ، وأرح نفسك وأرحني »
فسكت ، فما يقولي بمد هذا كلام ، وبلغنا المطعم الذي اخترناه فترجلنا ، وأنقذت السائق خسة قروش - قطعة واحدة ، خرجت من عيني ، لا بخلا ، فما بي بخل ، وإني وحقكم لكريم مضيا ، وقد سمعتم نفسي تنكر على إسراق وتبذير ، وترعمني بذلك من إخوان الشياطين ، ومن كان لا يصدق فليجثني بحال ، ولير كيف أنفقه له ، ولا أبق لنفسى منه دافقاً !

وجلسنا إلى مائدة نظيفة ، وجاء الخادم بوزقة كبيرة مطوية

اختيارك دفعة واحدة ، ليمدها لك ، من الآن ، ولا يعود يعتذر بأن هذا فرغ ، وهذا لم يبق منه شيء »

فوافق ، وكانت غايته من هذا الاقتراح أن أعرف على وجه الدقة كم يكلفني إطعام ضيف ، وهل يبق في جيبى بعد ذلك شيء . آكل به ، أم ينبغي أن أصوم إكراما له وإبشاراً ، فوجدت أن جملة الثمن بلغت تسعة عشر قرشاً ، فقلت في سرى « أما والله إنه لشدة بهم ! أما كان يستطيع أن يكتفى بلوتين ؟ إنه لا يبق لي بعد ذلك إلا ستة قروش تذهب منها اثنان تجزية للخدام ، وقرش لا بد منه لركوب الترام إلى البيت ، فالباقي ثلاثة قروش ، وما يدريني أنه لا يستمرى نعمتي فيطلب قهوة أيضاً ، إذ هما قرشان اثنان لا أملك لنفسى غيرهما ... حسن ... فليكن كل طعامي بتفاحة » واستغرب صاحبي زهدى في صنوف الأطعمة ، واكتفائي بتفاحة ، فقلت له « يا أخى ألم أقل لك إنى أكره أن آكل في مطعم ؟ ولقد نصحت لك فهل كنت تظننى عابثاً ، أم حسبتنى من جماعة « يا أيها الرجل المعلم غيره » ؟ لا يا صاحبي . وقد تركتك لرأيك ، فتركنى لرأى ! »

وكان يا كل وأنا أذخن وأتكلم ، ثم صفق فدمرت وسائلته ماذا تريد ؟

قال « أليس عند هؤلاء القوم نبيذ جيد ؟ »
فقلت بسرعة « لا لا لا ... إنه خل — احذر »
قال « خل ... عسل ... لا بد لي من النبيذ »
فصريت كغافاً بكف ، ولولا أن المكان غاص بالناس للطلمت وجهى ، فنظر إلى مستغرباً وسألنى : « مالك ، لم أدرك قط على مثل هذا الحال ؟ »

قلت : « يا أخى أتريد أن تفضحنى . »
قال : « أفضحك ؟ لماذا ؟ »
قلت : « تشرب النبيذ وأنت مى ؟ ماذا يقول الناس عنى إذا رأوك ورأونى »

قال : « لمه ؟ أنت تخجل أن يراك الناس مع صاحب يشرب خمرأ ؟ متى تغيرت عن عهدى يا صاحبي ؟ »

قلت : « اليوم ... »
قال : « اليوم ؟ فقط ؟ »
قلت : « على كل حال ، هذا لا يعينيك ... اطلب ما شئت إلا الخمر ... فلن أدفع عن قطرة »
فأطال التحديق في وجهى ، ثم قال :

« ليس هذا صربط الفرس .. ماهى الحكاية ؟ قل بصراحة ! »
فلم أجد أطيع الكتمان ، فقد كانت أملى تقطع من الجوع ، وعينى تكاد تخرج من الفم ، وشق على أن أراه يلهم الطعام وأنا جالس أنظر وأتصور وأتحسر ، فانفجرت قائلاً :

« الحكاية يا أحق يا غي أن كل مامى في هذه الساعة المنحوسة التى تجلس فيها أملى خمسة وعشرون قرشاً ... وأنت تأكل كأنك مازدت طعاماً منذ قرن كامل ، وتريد فوق ذلك أن تشرب نبيذاً ! شيء لطيف جداً ؟ ومن أين أبهى بشن النبيذ الذى تفرغه في جوفك ؟ أرهن ثيابي ؟ أم أطمعك وأسقيك ، نسبة ؟ لو كان في رأسك هذا ذرة من العقل والفهم ، أو في عينك نظر لفطنت إلى الحقيقة ولم تهوجنى إلى الكلام ، ولكن كل جارية فيك مَعيدة ... »

فقال بعد طول الأصغاء : « أهوذاك ؟ »
قلت بغيظ : « نعم هوذاك يا أيها الكرش ؟ »
فلم يجب بشيء وصفق فجاء الخادم فقال له :
« اطعم هذا الجوعان المسكين »
فقلت له : « قبحك الله ! ألا بد أن تفضحنى ؟ »
قال : « ألا تستحق ذاك ؟ »

قلت : « ليس هذا وقت الجدال ... هات وجاجة سمينة »
قال : « فان الدجاج غنوق ... ! »
قلت : « لا تكن كزاً لثياً ... اذهب يا هذا وهات الدجاجة السمينة ... والله لا بدأت إلا بها »
قال : « بدأت ؟ »

قلت : « نعم ، ثم بسمك »
قال : « إنه قديم ، متعفن »
قلت : « فليكن من عهد الفراعنة ، فان الجوع لا يرحم »
قال : « قاتلك الله . لقد كنت أشتى الدجاج والسك . فصرفتني عنهما بهوبلك وخوفتنى منهما »
قلت : « ما في بطني في بطنك ! »

ولما عدت إلى البيت قلت لنفسى وأنا أبذل ثيابي لأستريح « أظن أنه لا يسعك أن تهمنى بالاسراف في يومى هذا ، فقد عدت بأربعة وعشرين قرشاً من ثلاثين خرجت بها »
فايتسمت ، وهزت رأسها راضية ، فقلت :
« ولكنه موقف لا يحتمل إذا تكرر ، ولن أطاوعك بعد اليوم »
أبراهيم عبر القادر الطازي

٢- قصة المكروب

كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور احمد زكي

وصكيل كلية العلوم

لوفن هولك Leeuwenhoek

أول غزاة المكروب

« بائع الفماش الهولاندى الساذج الذى
ضحك منه أهل بلده فكانت الجنية
الملسكية البريطانية وبها روبرت بويل.
واسحاق نيوتن فاستمت له وصفت
حينئذ عاماً »

إن كثيراً من مكتشفات العلم الأساسية قد تظهر لرائدائها
اليوم بسيطة بالغة البساطة حتى لمعجب التأمل في العصر الحاضر
من رجال العصور القارة كيف أنهم تحمسوا وتسلوا آلاف
السنين عن أشياء كانت منهم قاب قوسين أو أدنى من ذلك
قرباً . خذ المكروبات مثلاً . فعمامة الشعوب تراها اليوم تبختر
على الشاشة البيضاء ، والكثير من ذوي العلم القليل رأوها تسبح
وتغرق تحت عدسة الميكروسكوب ، وطالب الطب البادىء
يستطيع أن يريك جراثيم كثير من الأمراض - وإذن فما هذه
العقبة الكأداء التى قامت دون رؤية المكروب لأول مرة !

أذكر أن « لوفن هولك » عندما ولد لم يكن في الدنيا
مكروسكوبات ، ولكن عدسات يد صغيرة خشناء لا تكاد تكبر
الشيء ضعفين ، لو نظر بها هذا الهولاندى ثم نظر لملاء الشيب
ولما يكتشف من الأحياء إلا دود الجبن فما فوقه حججاً . وإنما
الذى غير وجه الأمر نحت هذا الرجل عدسات جديدة ، ومثابرة
على ذلك وإلماحه فيه إلحاح معنوه ، ثم شغفه بعد ذلك بنظر كل
شيء ، والتجهمير إلى كل شيء ، خص أو عم ، علا أو حقّر ،
شرف أو سفّل ، دخل في حدود الأدب أو خرج عنها ، فقال
من ذلك خبرة وكسب مراناً هيأه لاستقبال ذلك اليوم الباغث
القاصي الخالد ، يوم نظر من خلال عدسته ، تلك اللبنة الزجاجية
طأطأها الذهبي ، إلى . . . قطرة ماء !

تلك النظرة . . . إلى تلك القطرة . . . بدأت تاريخاً جيداً .
كان « لوفن هولك » بحائماً مخبولاً غريب الأطوار ، وإلا فما الذى
حدا به إلى أن ينظر من بين ألوف الأشياء إلى قطرة ماء تزلت
من السماء ؟ وما الذى عساه أن يرى فيها ! كانت مريم ابنته
في التاسعة عشرة من عمرها . وكانت كثيرة الحذب على أبيها
المأفون ترعاه وتدفع عنه . والويل للجار السافل النقي الذى يفره
سوء طالع بالخزء من والدها على مسمع منها وكانت مريم ترتب
خُطى أبيها ؛ ففي هذا اليوم المهود رأته يتناول أنبوبة من الزجاج
أحماها في لُطْب حتى صارت حمراء ، ثم مطّما حتى كانت كالشعرة ،
ثم كثرها قطعاً صغيرة . ونظرت إليه وهو واسع الميزين ذاهل
اللب فاذا به يخرج إلى الجنية فيكتب على إناء كان وضعه هناك
ليقيس به مقدار المطر الهاطل ، ثم يغمس تلك الشعرات الزجاجية
فيه ، ثم يمود بها إلى مكتبه فيضعها تحت عدسته . ليت شعري
ما وراء هذا الأب المأفون العزيز الآن . إنه ينظر في العدسة
ويجهد النظر حتى تحول عينه . إنه يتمتم بكلمات تردد في
حلقه ولا تخرج إلى شفثيه . ها هو ذا قد زاد اضطرابه وعلا بفته
صوته ، وأخذ يصيح لابنته في احتياج ظاهر : « تعالى . تعالى .
أسرعى ! أسرعى ! أرى أحياء في الماء ، أحياء صغيرة . إنها
تسبح . إنها تدور وتلعب . إنها أسفر ألف مرة من الحيوانات
التي تراها أعيننا المجردة . انظريها وانظري ماذا اكتشفت »

هذا يوم « لوفن » جاء أخيراً ، وهو يوم في الأيام معلّم
مشهور . ساح الاسكندر ما ساج حتى جاء إلى الهند فكتشف
فيها مالم ترة فبين آخرى من قبله : فيلة عظيمة ضخامة تملأ العين
والقلب ، هذه الفيلة كانت عند الهندوس كالخليل عند الأعريق ،
أشياء مألوفة معروفة لا يبعث فيهم دهش ولا تسير عجيماً .
وضرب قيصر في الأرض ما ضرب حتى طلع به المطاف على الجزر
البريطانية فراه ما وجد فيها من أقوام بادين مستوحشين ،
ولكن هؤلاء البريطانيين كانوا فيما بينهم معروفين مألوفين كألقة
قيصر جنوداً . أما « لوفن هولك » التاجر الصغير فقد سبق
العالم فأطل على عالم عجيب لا يلقنه البصر ، عالم من مخلوقات
صغيرة عاشت وعادوت العيش ، ونمت وعادوت النماء ، وتقاتلت
وعادوت التقاتل ، وماتت وعادوت الموت ، وكل ذلك تحت عين

ماعدّد، وحسب ما حسب، وخرج من حسابه على أن «الحيوان الأخير الذي رآه أصغر ألف مرة من عين قلة كبيرة». وكان هذا تقديرًا سائبًا من رجل مدقق محاذر، فنحن نعلم اليوم أن عين القملة التامة النماء لا تزيد حجمًا عن عشرة آلاف من تلك الحيوانات

ولكن من أين أتت وكيف سكنت قطرة الماء؟ أجابت من السماء؟ أم زحفت من الأرض على جدار الأناء حتى بلغت الماء؟ أم قال لها الله كوني فكانت من لا شيء؟

كان «لوفن» يؤمن بالله بمقدار ما آمن به أي هولاندى من أهل القرن السابع عشر، وكان يصفه بأنه خالق هذا السكل العظيم، وكان فوق إيمانه يحب به أي إعجاب، وكيف لا يعجب من خالق حاذق عرف كيف يصنع أجنحة النحلة بهذا الجمال المطرب. ولكن «لوفن» كان إلى جانب هذا يستقد في المادة وفي وساطتها، وهداه وحى نفسه الصادق إلى أن الحياة لا تنتج إلا من حياة، وأن الله لم يخلق هذه الحيوانات في وعاء الماء من لا شيء... ولكن صبراً... ولم لا يخلق الله ما شاء كيف شاء؟ لاسبيل إلى معرفة مآتي هذه الحيوانات إلا التجربة. فقال لوفن لنفسه «فلأجرب»

فصل كأس خر غسلاً طيباً وجففه، ورفعته إلى حيث يقطر ماء المطر من سقيفة داره، فلما تجمع فيها بمضه أخذ منه قطرة وسلط عليها عدسته... نعم! لا يزال بها قليل من تلك الحيوانات غدايات رائحات. إذن فهي توجد في ماء المطر غيباً نزوله. ولكن مهلاً، فهذا استنتاج فطير، من أدراك؟ لعلها كانت على السقف فنزل المطر فأكتسحها في الكأس

فدخل لوفن بيته وخرج بصحن من الصيني داخله أزرق مصقيل فسلطه ورفعته إلى السماء والمطر يهطل، ورمى بما تجمع فيه من الماء ليتأكد من نظافته، ثم رفعه مرة أخرى، ثم غمس في مائه شعرة من شعرات الزجاجية وبكثير من الحذر حملها بقطرتيها إلى مكتبه لينظر فيها. «لقد واثق الدليل! هذا الماء ليس فيه مخلوق واحد من تلك المخلوقات الصغيرة، فمن أين يأتي من السماء» ولكنه احتفظ بهذا الماء الساعة بعد الساعة، وهو يحدّق فيه، واليوم بمسد اليوم وهو يحدّق فيه، وفي اليوم الرابع

الإنسان وسمعه، ومنذ بدأ الزمان، والإنسان لا يسمعه، والإنسان لا يبصرها. مخلوقات على سفرها أهلكت شعوباً وأذلت أمماً من رجال يكبرونها عشرات الملايين من الأصماف. مخلوقات شريرة على البشر مما خالوا من أفاعير تنفث النار وتنشر الفزع والدمار. مخلوقات قتالة، تقتل في صمت، تقتل الطفل وهو في دفة مهده، وتقتل الملك بين أعوانه وجنده. تلك المخلوقات الخفية الحظيرة المدونة اللدود - والتي قد تسالم أحياناً وتصادق - هي التي نظر إليها «لوفن هوك» أول رجل على ظهر البسيطة

- ٣ -

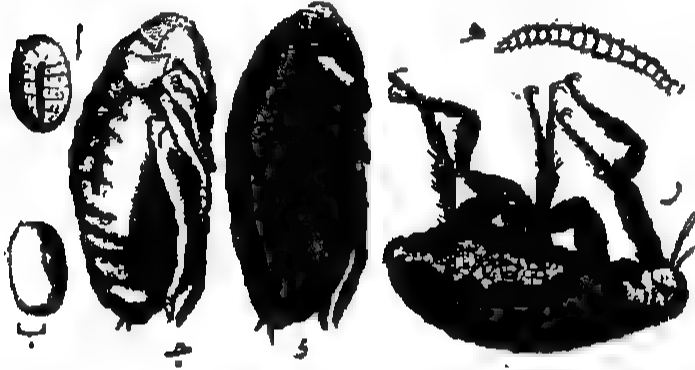
سبق أن حدثتكم عن «لوفن هوك» بأنه رجل كثير الشك كثير الرية، لذلك لما وقعت عيناه على تلك الحيوانات رآها بالغة الصغر بالغة العجب حتى لا يكاد يؤمن الرأى بها. ومن أجل هذا أعاد النظر ثم أعاده حتى أنجمدت يده من مسك المكروكوب ودّمت عيناه من إطالة التحديق، فوجد أن نظريته الأولى لم تكن خدعة، فيها هي الحيوانات نفسها تعود فتتراى له، وليست هي من جنس واحد هذه المرة، فما هو جنس ثان أكبر من الأول سريع الحركة وشيق الدوران لأن له بضعة أرجل بالغة في الدقة، وها هو جنس ثالث، ورابع ولكنه صغير جداً فلا يبين شكله، ولكنه حتى يدور بسرعة خاطفة فيقطع الأميال في دنياه الصغيرة - في تلك القطرة من الماء



ألياف عضلية من القلب مكبرة اصغافاً كما رآها لوفن هوك

وكان «لوفن» قياساً ماهراً، ولكن أتى له بقياس تقاس به هذه الحيوانات الصغيرة. جمع لوفن ما بين حاجبيه، وجمع بتجميعه أشنات فكره، وأخذ يبحث في زوايا رأسه وفي الأركان المهجورة من ذاكرته بين آلاف الأشياء التي تملأها وأتقن تعلّمها على بهتدي بها إلى قياس تلك الأحياء، وعدّد

وعندئذ ، وعندئذ فقط ، شاء أن يكتب إلى لندن يخبرها
بالذي كان . وملاً الصفحة بعد الصفحة بخط جميل ولينة بسيطة
يشرح ما صنع ، ويقول لهم إن حبة القمح تسع مليوناً من هذه
الحيوانات ، وإن ماء القفل يربها ويكثرها حتى تحرى القطرة
منه ٢٧٠٠٠٠٠ منها . وترجم الكتاب إلى الإنجليزية وتلى على
الجمعية قترك عاليها سافلاً . هؤلاء العلماء كانوا قد اطروحو الحرافات ،
وكفروا بالذي كان في زمانهم من أباطيل وترهات ، ثم يأتي هذا
المولاندى يحدسهم عن حيوان تسع قطرة الماء منه بقدر ما تسع
مولاندا من السكان ! تلك خرافة من خرافات الأولين ، ولوالله
ما خلق الله حياً أصغر من دودة الجبن



البرغوث وأطواره كما رآها لوتن هوك مأخوذة من كتاباته عام
١٦٩٣ (١) البيضة (ب) قصر البيضة بعد خروج البرقاة (ج ، د)
طوران من الغدراء وهي البرغوث قبل أن يتشكل (هـ) البرقاة وهي
البرغوث في طواره المودى (ر) البرغوث الصغير عند استكمالها

على أن نقرأ من هؤلاء العلماء لم يضح بما سمع . فهذا الرجل
كان محققاً مدققاً مفرطاً في تحقيقه وندقيقه . وقد وجدوا صدقه
في كل ما كتب لهم عنه . وعلى ذلك جاءه كتاب من لندن يرجونه
فيه أن يشرح لهم بالتفصيل الطريقة التي صنع بها مكر سكوبه وأن
يصف لهم كيف يستخدمها لرؤية ما يرى

وجاء الكتاب يحمل الشك في ثنائه ففضب . ما كان يهمه
أن يضحك منه حتى بلدته ، ولكن لم يكن يخطر في باله أن ترقب
الجمعية الملكية في قوله . لقد كان يحسب أنهم فلاسفة . أبكتب
اليهم بالشرح الذى طلبوا ، أم يوليه من الآن ظمرو ويحتفظ
بما يعمل لنفسه . وذاكر الجهود الذى أنفقه فمز عليه ما احتمل
منه ، وكأني بك تسمه يتمم في نفسه : رحماك اللهم فأنت تعلم
كم عملت وعمرقت ، وكم سهرت لكشف تلك الخبايا ، وكم

أخذت تلك المخلوقات تتراعى فيه مع ذرات من التراب وخيوط
القطن ونسائل التيل

اكتشف «لوتن» هذه الدنيا الجديدة التي لم تخطر على بال
أحد ، فهل كتب إلى الجمعية الملكية ينبئها خبر هذا الاكتشاف
الضخم ؟ لا ، لم يكن بعد أخبرم ، فقد كان رجلاً بطيئاً ، وإنما
سلط عدساته على كل أصناف الماء ، على الماء الذى في مكتبه
وهواؤه محبوس ، على الماء بالقدر الذى وضعه في الهواء الطلق
على سطح بيته ، على الماء الذى يقنوات بلدته وهو غير شديد النقاء ،
وعلى ماء البئر البارد الذى يجنينه داره ، وفي كل هذه الأمواه
وجد هذه الحيوانات . وراعه صغرها المائل ، فكثير منها لم يبلغ
الألف منه حجم الخبة من الرمل ، وقارن بعضها بدودة الجبن ،
تلك الحشرة القذرة الصغيرة ، فوقت منها وقوع النحلة من القرس
كان لوتن بحاثاً يبحث عن كل شيء وفي كل شيء ، ومن
غير علم ضابق من تلك الأشياء . وكان من شأن هذا الضارب في
أشتات الأمور أن يصر في طريقه على كثير مما لم يقصد إليه .
وكان هذا حاله مع القفل ، القفل حريف لأذع فلماذا ؟ سؤال
خطر له يوماً فقال لنفسه : « قد يكون هذا بسبب تنوعات في
القفل حادة تشك اللسان عند الأكل فتلذذه » ولم يكده يستقر
هذا الخاطر في رأسه حتى قام يبحث عن هذه التنوعات

بدأ بالقفل الجاف فطحنه ثم طحنه ، وعطس وعمرق ،
ولكن لم يبلغ به الطحن الصغر الكافي لرؤيته بالمدسة . فقال
أن يليته بالتبليل فتقعه في الماء بضعة أسابيع ثم جاء بارة حادة
فمزق بها ذرات القفل فزادها صغراً ، ثم مصها مع قطرة ماء في
إحدى شمريات الزجاجية ، وأخذ ينظر فيها ، ولم يكده يقفل حتى
نسى التنوعات التي كان يبحث عنها ، واستلأت نفسه واغتمر
حسه بما وجد من جديد . ففي الأمواه الأخرى التي رآها كان
يرى الحيوانات الصغيرة التي اكتشفها بقدر معتدل يقل حيناً
ويزيد حيناً . أما في ماء القفل هذا فقد وجد هذه المخلوقات على
تنوعها كثيرة المدد كثرة لاتصدق ، وهي لا تزال في ازدهارها
سهم وتسبح في رشاقة وجمال

خرج «لوتن هوك» يبحث في القفل عن تنوعات ،
فوقع على طريقة يرتب بها حيواناته وينسبها ويكثرها

وتلمب ، تلك الحيوانات التي حدث عنها « لوفن » . قام الأعضاء عن مقاعدهم وتزاحوا حول المكركسكوب ، وحملقوا فيها ، ثم صاحوا : لا يكشف عن مثل هذا إلا رجل من عبقر . وكان هذا يوم غفار كبير « لوفن هوك » . ولم يمض غير قليل حتى انتخبت الجمعية هذا القماش عضواً بها . وبشت إليه براءة العضوية في إطار من الفضة وعلى غلافها شارة الجمعية

فأجابهم « لوفن » بشكرهم ويقول : « وسأخدمكم بإخلاص إلى الزمن الأخير من حياتي » . وهكذا فعل . فانه أخذ يكتب إليهم تلك الكتب التي خلط فيها بين العلم ولغو الحديث حتى مات ومنه تسعون عاماً . وعلى كفرة ما بث لهم من الكتب لم يبعث إليهم بعدسة واحدة . كل شيء إلا هذه ماذق قلبه بالحياة . وفعلت الجمعية كل ما استطاعت في سبيل ذلك دون جدوى ، وأنفذت الدكتور مولينو Molyneux إليه ليكتب تقريراً عنه ففرض عليه مولينو ثمناً طيباً مقرباً لاحد مكركسكوباته فأبى . « يا رجل ! لديك مئات المكركسكوبات قد ترصصت في القمطرات بمحاطات مكتبك ، أفلا تستغنى ولو عن واحدة فقط ؟ » . ولكن هيئات . « هل أستطيع أن أرى السيد رسول الجمعية الملكية شيئاً آخر ؟ هذا عمار في زجاجة لم يولد بمد . وهذا حيوان غطاس سريع رشيق » . ويرفع الهولاندى عدساته إلى عين الانجليزى ليرى بها ، وهو يلحظه بركن عينه خشية أن يمس جهازاً أو ينشل شيئاً ، وهو الرسول الأمين الذى لا يشك أحد في ذمته أو برتاب في أمانته . « مولاي رسول الجمعية ، كم أتمنى لو كان في استطاعتى أن أريك عدسة بينهما . أحسن عدساتي ، وأن أريك كيف تنظر فيها ، ولكنى اختصصت بها نفسى فلا أطلع عليها أحداً حتى ولا أهل بيتي »

(يتبع)

الرواية المسرحية في التاريخ والفن

بحث مفصل تناول أطوار الرواية وأنواعها وقواعدها ومذاهبها من المعجور اليونانية إلى اليوم نجده منشوراً في كتب

في أصول الأدب

الذى صدر هذا الأسبوع

احتملت من ضحك الناس ومسخرية حقاقم في صناعة مكركسكوباتي وتجويدها واستنباط طرق الرؤية بها . . .

ولكن كما أنه لابد لكل ممثل ممن يسمع وينظر ، فكذلك لابد لكل مبتكر من نظارة سماعة . لقد علم « لوفن » أن هؤلاء الشكاكين من أعضاء الجمعية لابد باذنون جهداً لا يقل عن جهده لأنكار دعواه . لقد جرحوه في كرامته ، ولكن لابد للمكتشف من نظارة ! فكان أن كتب لهم كتاباً طويلاً يؤكد لهم أنه لم يقل فيما وصف ، وشرح لهم الحساب الذى عمل ، وكتب لهم الحبة بمد الحبة من قسمة فحرب فجمع حتى صار كتابه ككرواسة صبي في مدرسة وخرج بنتائج قريبة جداً من النتائج التى يخرج بها علماء المكركوب اليوم بواسطة ما استجد لهم من عدة وجهاز . وختم « لوفن » كتابه بقوله إن كثيراً من أهل « دلفت » رأوا تلك الحيوانات الصغيرة العجيبة بعدساته فأكبروها ، وأنه يستطيع أن يأتينهم باقرارات شرعية مبسوطة مغمومة ، اثنين منها من رجلين من رجال الله ^(١) ، وواحد من مسجلى العقود ، وثمانية أخرى من شهود عدول . أما أن يصف لهم كيف صنع مكركسكوباته فهذا مالا سبيل اليه

كان « لوفن هوك » كثير الرية في الناس . كان يسمح للناس بنظر الأشياء من عدساته ، ويرفعها إلى أعينهم ليحسبوا الرؤية بها دون أن يمسوها ، فان هم رفعوا يداً إليها ليتولوا بأنفسهم إحكامها أو لزيادة المتعة بها لم يكبر على « لوفن » أن يطردهم من بيته طرداً . . . كان كالطفل يدهم تقاحة كبيرة حمراء يجذب بها ويسر رؤية أسحابه لها ، ولكنه يصرخ في وجوههم إذا نالوها بأصابعهم خشية أن ينالوها بمد ذلك بأسنانهم وبناء على هذا وجهت الجمعية وجهها ناحية أخرى ، فانتدبت

« روبرت هوك » Robert Hooke ونهيمياه جرو Nehemiah Grew

ليقوموا بصناعة أحسن المكركسكوبات المستطاعة ، ويتجهيز تقيع مائى من أجود أصناف الفلفل الأسود . وفي الخامس عشر من نوفمبر عام ١٦٧٧ اجتمعت الجمعية وجاءها « روبرت هوك » يحمل إلى المجتمع مكركسكوبه والتقيع ، وفي خطاه سرعة ، وفي قلبه لفة ، لأنه وجد أن « أنطون لوفن هوك » لم يكذب ، فهامى تسبح

١٤ - محاورات أفلاطون

المحرر الثالث

فيندون أو خلود الروح

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

- أو قد تنساق كذلك إلى تذكر سمياس نفسه ؟

فقال - هذا حق

- وقد يكون التذكر في هذه الحالات جميعاً منبهتاً من أشياء

الشيء أو مما يباينه ؟

- هذا صحيح

- وهناك سؤال لا بد أن ينشأ ، حينما يكون التذكر قد

انبعث من شبيه الشيء ، وهو : هل يكون شبيه الشيء التذكّر

ناقصاً في أي ناحية من نواحيه ، أم لا يكون ؟^(١)

فقال : هذا جد صحيح

- وهل تتقدم خطوة أخرى ، فنؤكد بأن التساوي

موجود فعلاً ، لا تساوي الخشب بالخشب أو الحجر بالحجر ،

بل ما هو أسمى من ذلك وأرفع . أتؤكد بأن التساوي موجود

في عالم التجريد ؟

فأجاب سمياس : بلى : لؤكد ذلك وأقسم على سمته بكل

ما وسعت الحياة من يقين

- وهل نحن نسلم هذا الكنه المجرد ؟

فقال : لا شك في ذلك

- ومن أين جادنا هذا العلم ؟ ألم ترّ متساويات من الأشياء

المادية ، كقطع الحجر والخشب ، فاستنتجنا منها مثلاً لتساوية

يتخالفها ؟^(٢) أفأنت موافق على هذا ؟ أو فانظر مرة أخرى إلى

(١) يعني لو رأيت مثلاً صورة رجل ، فذكرتك بالرجل منه ، فهل

تكون هذه الصورة ، وهي شبيهة الأصل ، منطوقة تماماً على أصلها ؟

(٢) معنى ذلك أن الإنسان قد شاهد في الحياة أشياء متساوية ، فعرف

منها أن هناك تساوية مجرداً ، مع أن ذلك التساوي المجرد ، لا يشبه هذه

للتساويات التي شاهدها تمام الشبه ، لأن هذه كثيراً ما تختلف ، أما ذلك

- إن وجد - فلا يجوز عليه التفاوت مطلقاً

الموضوع على هذا النحو : أليست قطع الحجر والخشب بينهما

تبدو متساوية حيناً متفاوئة حيناً آخر ؟

- لا ريب في هذا

- ولكن هل تتفاوت المتساويات الحقيقية أبداً ؟ أم هل

يكون مثال التساوي يوماً عدم مساواة ؟

- لا شك في أن ذلك شيء لم يعرف بعد

- إذن فهذه المتساويات (كما يسمونها) ليست تطابق مثال

التساوي ؟

- لا بد من القول باستقراط بأنها تخالفه تماماً

- ومع ذلك ، فأنت من هذه المتساويات ، قد تصورت مثال

التساوي ووصلت إليه ، على الرغم من أنها مخالفة لذلك المثال ؟

- فقال : هذا جد صحيح

- وقد يكون مثال التساوي شبيهاً بها . وقد يكون

مبايناً لها ؟

- نعم

ولكن هذا لا يغير في الأمر شيئاً ، لما دمت قد تصورت

شيئاً من رؤية شيء آخر ، سواء أكانا شبيهين أم متباينين ، فقد

حدثت بذلك من غير شك عملية تذكر ؟

- جد صحيح

- ولكن ماذا هناك أنت تقول في قطع متساوية من

الخشب والحجر ، أو في غيرها من المتساويات المادية ؟ وأي أثر

هي تاركة في نفسك ؟ أم هي متساويات بكل ما في التساوي المطابق

من معنى ؟ أم أنها تقع في القياس دونة بشيء يسير ؟

فقال : نعم ، بل دونة بمسافة بعيدة جداً

- ثم ألا يلزم أن نسلم بأنني ، أو أي أحد آخر ، حين

ينظر إلى شيء فيدرك أنه إنما يشهد أن يكون شيئاً آخر ،

ولكنه مقتصر من دونه ، عاجز عن بلوغه - فلا بد أن قد

كانت لدى من يلاحظ هذا معرفة سابقة بذلك الشيء الذي

كان هذا الأخير أحط منه ، كما يقول ، وإن كانا متشابهين ؟

- يقيناً

- ثم أليست هذه حالتنا في موضوع المتساويات والتساوي

المطلق ؟

- تماماً

- إذن فلا ريب في أننا كنا نعرف التساوى المطلق قبل أن نرى المتساويات السادية لأول مرة ، وفكرنا بأن كل هذه المتساويات الظاهرة ، إنما تنشأ ذلك التساوى المطلق ، ولكنها تقصر من دونه ؟

- هذا صحيح

- ونحن نعلم كذلك أن التساوى المطلق لم يُعرف إلا بواسطة اللمس ، أو البصر ، أو غيرها من الحواس التي لا تتمكن معرفته بغيرها ^(١) ، وإننا لأؤكد هذا عن كل إدراك كلي من هذا القبيل - نعم ياسقراط ، فكل واحد من هذه المدركات لا يختلف عن الآخر في شيء مما يدور حوله الحديث

- وإذن فمن الحواس تنبثق المعرفة ، بأن كل الأشياء الحسنة تنشأ مثال التساوى ، ولكنها تقصر من دونه - أليس ذلك صحيحاً ؟

- نعم

- إذن فقبل أن بدأنا في النظر ، أو السمع ، أو الإدراك بأية صورة أخرى لابد أن قد كانت لدينا معرفة بالتساوى المطلق ، وإلا لما استطعنا أن ننسب إليه المتساويات التي نشقها من الحواس ؟ - فهذه كلها تسمى نحو ذلك التساوى المطلق فتقصر من دونه ؟

- تلك ياسقراط نتيجة مؤكدة للعبارات التي سلف ذكرها - ثم ألم نأخذ في النظر والسمع واكتساب حواسنا الأخرى بمجرد أن ولدنا ؟

- بيقيناً

- إذن فلا بد أننا قد حصلنا معرفة التساوى المثالي في زمن سابق لهذا ؟

- نعم

- أي قبل أن نولد فيما أظن ؟

- صحيح

(١) لأننا أدركنا بالحواس أشياء متساوية ، فاستنتجنا وجود التساوى المطلق ، فكأننا أدركنا هذا الأخير عن طريق الحواس ، مع أنه عقلي محض . وقل مثل ذلك في سائر المدركات الكلية ، كالجمال والخير وما إليهما ، فقد جاءتنا عن طريق الحواس أشياء جيدة : ورثة ، وامرأة ، وشرور وهكدا ، ففرطنا عن طريقها فكرة الجمال المطلق

- وإذا كنا قد حصلنا هذه المعرفة قبل أن نولد ، وكانت لدينا عند الميلاد ، إذن فقد كنا قبل الميلاد ، وفي ساعة الميلاد نفسها نعرف كذلك ، فضلاً عن التساوى ، والأكر والأفقر ، سائر الشئ جميعاً ، فنحن لا نقصر الحديث على التساوى المطلق ، ولكنه يتناول الجمال ، والخير ، والعدل ، والقداسة ، وكل ما نطبعه بطابع الجوهر في مجرى الحوار ، حينما نلقى أسئلة ونجيب عن أسئلة ، أفستطيع أن تؤكد ، أننا قد كسبنا معرفة هذه كلها قبل الميلاد ؟

- هذا صحيح

- ولكن ، إذا نحن بعد كسب المعرفة ، لم ننس ما كنا قد كسبنا ، فلا بد أننا قد ولدنا ومعنا المعرفة دائماً ، وسنظل أبدًا على علم بها ، مادامت الحياة - لأن العلم هو كسب المعرفة وحفظها ، لا نسيانها . أليس النسيان بإسحياس هو فقدان المعرفة لا أكثر ولا أقل ؟

- جد صحيح ياسقراط

- أما إذا افترضنا عند الميلاد تلك المعرفة التي حصلناها قبل أن نولد ، ثم كشفنا فيما بعد ، بواسطة الحواس ، ما قد كنا نعلم من قبل : أفلا يكون ذلك ، وهو ما نسميه تعلمًا ، عملية لكشف معرفتنا ، ثم ألا يجوز لنا بحق أن نسمي هذا تذكرًا ؟

- جد صحيح

- لأنه من الواضح ، أننا إذ ندرك شيئًا بواسطة البصر ، أو السمع ، أو أية حاسة أخرى ، لانصادف سموية في أن بنشأ لدينا من هذا الشيء ، تصورٌ لشيء آخر ، يشبهه أو يباينه ، كنا قد أنسيناه ، وكان قد ارتبط بذلك الشيء ، وعلى ذلك ، فكما سبق لي القول ، يقع أحد الأمرين : إما أن هذه المعرفة كانت لدينا عند الميلاد ، وظللنا نعلمها طول الحياة ، وإما أن يكون أولئك الذين يقال عنهم إنهم يحصلون العلم ، بعد ميلادهم ، لا يفعلون أكثر من أن يتذكروا ، فما العلم إلا تذكر وكفى

- نعم ياسقراط ، هذا جد صحيح

- فأى الأمرين يؤثر بإسحياس ؟ أكانت المعرفة لدينا عند الميلاد ، أم أننا قد تذكرنا فيما بعد الأشياء التي كنا نعلمها قبل ميلادنا ؟

- لا أستطيع الحكم الآن

(ينقح)

زكي نجيب محمود

دار الحديث الأشرفية

والمتحف العربي بدمشق

بمنوان « الخالدي » نشر الأستاذ الدكتور عبد الروهاب عزام في العدد الثامن والسبعين من « الرسالة » القراء مجلساً من مجالس الأستاذ الكبير الشيخ خليل الخالدي ، وحسناً فعل ، فإن أمثال الشيخ الخالدي بيتنا قليل ، ويجب أن ينتفع بعمارهم ونفحات بحوثهم . وحسبنا لو عهد كل من يلقيهم أو يسمع منهم شيئاً إلى تسجيله ونشره ماداموا لم يدنووا مذكرات منظمة عن أبحاثهم ، فليس من السهل أن نجد شخصية مثل الشيخ الخالدي غزارة علم وسعة اطلاع ، وإن الإنسان ليجب عندما يستمع إليه وهو يتحدث عن كتاب نادر ، فيصفه وصف المدارس المطلع ، بل يتجاوز ذلك في كثير من الأحيان فيذكر عبارات الكتاب سرداً عن بديهة . ثم ينتقل من وصف الكتاب إلى رجة مؤلفه ، فيذكر الكثير من شأنه مما لا يجده في كثير من البحث والدرس ، ثم ينتقل من ذلك إلى عصر المؤلف ، وحال الحركة العلمية فيه وما إلى ذلك ، فجالس الشيخ الخالدي شاتقة ممتعة نرجو الذين يجالسونه ويستمعون له تدوين مجالسه ونشرها على الناس كما فعل الدكتور عزام

عرفت الشيخ الخالدي في دمشق أواخر سنة ١٩٢٩ ، أيام تردى على دار الكتب العربية ، لذلك لفت نظري مقال الدكتور عزام وقرأته بعنف شديد حتى أتيت على ذكر المدارس في دمشق فاستوقفني قوله : « ومن مدارس دمشق دار الحديث الأشرفية وهي دار المتحف العربي الآن » استوقفني هذا كثيراً لأنني أعرف دار الحديث الأشرفية كما أعرف دار المتحف العربي وأن كلا من الدارين غير الأخرى ، فدار الحديث الأشرفية التي بناها الملك الأشرف موسى بن العادل ، ونجز بناؤها سنة ٦٣٠ هـ والتي درس بها جلة من العلماء مثل ابن الصلاح وابن الخرساني وأبي شامة والنواري والشريشي والفاروق وابن الوكيل وابن الزملكاني والحافظ الزني والسبكي وابن كثير وغيرهم . هذه الدار لا تزال تؤدي رسالتها في نشر العلم - وعلم الحديث بنوع خاص - إلى يوم الناس هذا ، وقد اعتراها شيء من الفطور في

أواخر القرن الماضي حتى أرسل الله لها الفقيه الشيخ يوسف البيهاني الغربي ، فأعاد إليها حياتها ونشاطها ، ثم تولى شأنها من بعده المحدث الكبير الشيخ بدر الدين الحسني ، ولا يزال يلقى دروسه في دار الحديث الأشرفية ويحضرها الكثير من كبار العلماء . وأما المتحف العربي في دمشق فهو دار المدرسة العادلية الكبرى التي تقع في مواجهة المدرسة الظاهرية

والمدرسة العادلية التي بناها نور الدين محمود بن زنكي ولم يتمها ، ثم الملك العادل سيف الدين ولم يتمها أيضاً ، حتى أنهما من بعده ولده الملك المعظم ونسبا إلى والده الذي دفن فيها فسميت العادلية كانت هذه المدرسة من أهات المدارس الخاصة بالشافعية في دمشق (١) كما كانت مقر القضاء فيها

سكنها الكثير من كبار العلماء أمثال ابن خاسكان والملاء القنوي . وأبناء السبكي وابن مالك النحوي وابن جماعة

وفها ألف ابن خلكان تاريخه المشهور وعلى بابها كان يقف ابن مالك يدعو الناس لحضور دروسه : بتأدي هل من يتعلم هل من مستفيد ؟ وحول بركة العادلية كان قاضي القضاء شمس الدين ابن خلكان يدور الليل كله حتى الصباح ويقول في دورانه :

أنا . والله هالك آيس من سلامتي
أوأرى القائمة التي قد أقامت قيامتي

ولما أسس الجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩١٩ م جعلت مقر الجمع ، وهي الآن تضم الجمع العلمي والمتحف العربي وقاعة المحاضرات التابعة للجمع . وعلى ذكر العادلية وشغل الجمع العلمي لها أقول : إن الجمع وضع يده أيضاً على المدرسة الظاهرية التي أنشأها الملك الظاهر بيبرس ودفن بها هو وابنه الملك السعيد والظاهرية كانت مدرسة ودار حديث معاً ، درس بها الأذري والأخنائي والسويدي والأسدي والرعي والواسطي

فتسلمها الجمع العلمي العربي وجعلها مقر دار الكتب العربية في دمشق ، وخص القبة الظاهرية الزينية بالفسيفاء البديعة بالمخطوطات المحفوظة في الدار ما

براهمه البريه محمد الراغثاني

(١) كانت في دمشق مدارس لكل مذهب من المذاهب الأربعة كما كانت فيها دور للقرآن ودور للحديث ، ويجد القاري الشيء الكثير عنها في تنبيه الطالب للشيخ عبد القادر النيسبي . ومناومة الأطلال للشيخ مبدلتاد يدرات . وفي خطط الشام للأستاذ محمد كرد علي عضو الجمع اللغوي الملكي بمصر

١٢ - بين القاهرة وطوس

أصفهان الى سلطان آباد

للدكتور عبد الوهاب عزام

والباب العالي بناء ضخيم قسمه الأمامى إيوان عال يملك سقفه الرفيع ثمانية عشر عموداً ، مشرف على الميدان ، ووراء الإيوان بناء ذو طبقات ست وسلالم ضيقة ، وفي كل طبقة حجرات قليلة صغيرة ، وهذا البناء كله كان جلوس السلاطين مشرفين على اللب في الميدان ، ولاستقبال الوفود أحياناً ، وكان بابه العظيم مفتوحاً ليل نهار يأوى إليه أصحاب المظالم قترفع الى الشاه إطلاعاتهم

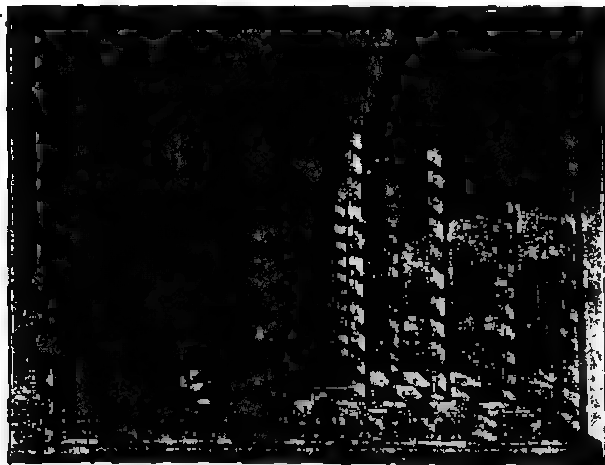


مسجد الشاه بأصفهان

ومن الآثار التي رأيناها ، المسجد الجامع ، وهو من أكبر المساجد سعة رقعة وضخامة بناء ، وقد كلل بناؤه الحاضر في عهود مختلفة ، وهو أقدم مساجد أصفهان . إيوان القبلة له قبة عالية ضخمة مبنية بالآجر ، وإلى الغرب إيوان صغير جميل أظنه من آثار الصفويين ، ووراء مصلى كبير يؤخذ مما كتب على قبلته أنه بنى سنة عشر وسبعمائة ، ووراء هذا مصلى كبير لا نوافذ له ، وفي سقفه كُومى ينفذ ضوءها من أحجار من المرمر شفافة وفي المسجد إيوانات أخرى ومصلى له قبة صغيرة زعم بعض الأدلاء أنه كان بيت ناز ، وأن القبة الكبرى كانت كذلك ؛ وذلك يزعم لا يصدقه التاريخ وفي البناء . وتصارى القول أن

المسجد الجامع بأصفهان من عجائب الأبنية ، وأن فيه للتاريخ وفي العمارة درساً طويلاً . وفي الجمعية الجغرافية الآن عشرات الصور تبين عن أقسام هذا الجامع العظيم ودقائقه

وأكبر الظن أن هذا هو الجامع الذى وصفه مفضل بن سعد ابن الحسين المأثور في كتابه « محاسن أصفهان » حيث يقول : « والجامعان : الكبير المتين البديع الأنيق . بنى أصله القديم عرب قرية طبران وهم التيم . . . ثم أعيد في أيام المتصم سنة ست وعشرين ومائتين ، ثم زاد فيه أبو على بن رستم في خلافة المقتدر ، فصار أربع أدور يحاس كل حد من جامعها رواقاً ، يلاصق كل رواق منه أسواقا . . . وهو منذ أخذ يطن بالهيل والتحميد ، ويحمن بالتسبيح والتمجيد . لا ينظم لأحدى الصلوات الخمس أقل من خمسة آلاف رجل . ونحت كل أسطوانة منه شيخ مستند ينتابه جماعة من أهلها بوظيفة درس أو رياضة نفس . . . تزين مناظرة الفقهاء ، ومطارحة العلماء ، ومجادلة المتكلمين ومناجحة الواعظين ، ومحاورات المتصوفين ، وإشارات المارفين ، وملازمة المتكفين . الى ما يتصل به من خانكاهات قوراء مرتفعة وخانات عامرة منسقة ، وقد وقفت لأبناء السبيل من الغرباء والمساكين والفقراء . وبجذاته دار الكتب وحجرتها وخزائنها الخ الخ والباب العالي الذى ذكرته آنفاً كان يؤدى الى حدائق واسعة فيها قصور كبيرة رائعة ، رأينا منها قصر « جهل ستون » أى قصر الأربعين عموداً الذى بناه الشاه عباس وأحترق قعمره الشاه



قصر جهل ستون للشاه عباس

سلطان حسين وهو كما رأيناه اليوم ، بناء وسط حديقة واسعة ،

ومقدم البناء رواق رفيع واسع يقوم بسقفه عشرون عموداً رفيعاً كل عمود قطعة واحدة من خشب الداب ، وكان مكسواً بالمرص تعلوه قطع الرايا على الأسلوب المألوف في البلاد الفارسية ، وللبناء على الجانبين رواقان آخران صغيران ، ووراء الرواق الأكبر مدخل يفضي الى قاعة كبيرة ، ووراءها حجرات

وفي رواق الجانب الأيمن نقوش كثيرة ، بعضها بصور نفراً من الموسيقين والغنين ، وبعضها يمثل جماعة من سفراء دول أوروبا الذين وفدوا على الملوك الصفويين ، وفي القاعة الكبرى صور زيتية كثيرة تمثل الملوك الصفويين مستقبليين ضيوفهم أو عارفين أعداءهم ، وهي صور تذكر بصور قصر فرسايل في فرنسا وأمام البناء كله حوض كبير على حافته نافورات ، ينمكس فيه صراى الرواق الامامى . قال محدثنا : للرواق عشرون عموداً وهذه مثلها في الماء ، فمن أجل هذا سمي قصر الأربعمين عموداً والحق أن آثار الصفويين في أصفهان على ما خلفها من عوادي الزمان تشهد بما كان لهم من الثنى والأبهة ، وبما كان في الدولة من العمران والصناعات ، والتبوغ في المارة والنقش

ورأينا آثاراً أخر يضيق المقام بوصفها ، ثم أوتينا الى الفندق وفي جيراننا جلال الماضي وجماله ، وأمام أعيننا ما كان من تبدل وبحول

عصف الدهر بهم فانقرضوا وكذلك الدهر جال بعد حال خرجنا المشية ، جئنا في أطراف المدينة ، ورأينا القنطرة المشيدة على نهر زنده رود ، ورأينا مصنفاً كبيراً لآل البرزدي ينسج فيه الصوف ، ثم ذهبنا الى السوق ، وسوق أصفهان من أعظم الأسواق في الشرق ، فرأينا بدائع صناعة أصفهان ، واشترينا منها ثم رجعنا الى الفندق

ولما حان موعد العشاء خرجنا الى دار الحكومة لإجابة لدعوة الحاكم . فقمنا هناك زمناً بمحدث السيد المهام قاسم صور أسرافيل ورئيس البلدية ، والشاعر الانكليزي درينيكووتر والدكتور شميت الألماني . ثم عدنا الى الفندق نغشى في القمراء وقد هود الليل ، فقلنا جيداً لو اشدد بنا المقام

بكرنا الى الرحيل ونحن نذكر قول أبي عبد الله الحسين النطري :

خبرت أصفهان خصلاً عجاباً بها كل ما تشبهه استجاباً

هواء منيراً وماء غيراً وخيراً كثيراً ودوراً رحاباً وزبناً ذكياً ونبناً رويماً وروضاً رضيعاً يناعي السحاباً وفاكهة لا ترى مثلها نسيجاً وطماً ولوناً عجاباً تفيد الأعلاء برءاً كما يفيد الريح الرياض الشبابا وزاد محاسنها زقروذ مياهاً كطعم الحياة عذاباً ألح

فارقنا أصفهان والساعة ثمان وربع من صباح الاثنين ثالث عشر رجب (٢٣ أكتوبر) . عائدتين أدراجنا تلقاء قم - ومن أصفهان إلى كرمانشاهان طريق تسير شطر الغرب لا تمر بقم ، وهناك طريق أخرى إلى سلطان آباد في العراق العجمي ، ولكن سائق سيارتنا ، وهو خبير بالطرق ، أبى إلا أن يسلك طريق قم إلى سلطان آباد فهذان فكرمانشاهان لأنها طريق معبدة مطروقة معروفة ، ومررنا الساعة تسع ونصف بقرية صغيرة اسمها مورچه خورد (التلمة أكلت) قال السائق هذه قرية دعا رسول الله صلوات الله عليه أهلها إلى إطعام بعض الفقراء فأخضوا ما عندهم من طعام فدعا الرسول عليهم فأكلت التلمة ما ادخروه من قوت : ووردنا دليجان والساعة اثنتا عشرة فوقتنا بموقفنا الأول على المطم الذي وصفته آنفاً ، جاء صاحبه وقال قد هيأت لكم الطعام ، قلنا أعددت دجاجة ؟ قال نعم وغيرها ، فصعدنا إلى الطبة العليا فاسترحنا ثم جاءنا الطعام فأكلنا مسرورين فكبرين

واستأنفنا السير والساعة واحدة وأربعون دقيقة ، فقلنا على الطريق زميلنا في المؤتمر الدكتور نظام الدين الهندي ، فوقتنا نجدهم المهدبه . ثم سرنا قليلاً فاذا ثلاثة من أعضاء المؤتمر : ألماني وأمريكي وتركى مقيم في أمريكا ، فتحدثنا قليلاً ثم انفرقتا وكان هؤلاء يؤمرون أصفهان فشيراز

بلغنا قم والساعة أربع فلم ندخلها ، بل ملنا عنها شطر الغرب فريد سلطان آباد . وزلنا بعد نصف ساعة ببناء عند أشجار على مقربة من نهر قم . قلت للسائق أى موضع هذا ؟ قال تحت شير (تحت الأسد) شربنا الشاي ، وطلبنا شمامة (خربوزه) فجاء رجل بشمامة وبطيخة قلنا هذه البطيخة قدعة ، فما رأيك في الشمامة ؟ قال حلوة جداً . قلنا شققها . فاذا شمامة غير نالجة فقمنا نندب أملاً ضاع بين قدم البطيخ وحدائه الشام . ولم أنس من بعد تحت شير وشمامته . وكان مسيرنا في أرض عاصرة تبدو فيها

في تاريخ الأدب المصري

٣- ابن النبيه

للأستاذ أحمد أحمد بدوي

- ٥ -

أهم أعراض شعر ابن النبيه المدح والفرل والزنا والوصف ،
ولقد كان مدح شاعرنا رفيقاً بارع الأسلوب ، يستهوى السامع
ويأسره ، ويستطيع أن يملك قلب المدوح فيه جزيل الحبات ،
وهو يبدو بالفرل غالباً وأحياناً كثيرة يبدو بذكر الخمر وبجالسها
والساق وجماله وحيناً مدح الخليفة الناصر أحمد بدأ مدحه بذكر
الناقة التي حملته إلى المدوح ، وقربته من مقر حكمه ، كما كان
في بعض الأحيان يبدأ مدحه بدون مقدمة ، غير أنه كان حيناً
يأتي بمقدمة قبل مدحه يجيد غالباً التخلص منها إلى المدح بلباقة
وبراعة فهو حين يبدأ بالفرل مثلاً يتخلص إلى المدح بجملة كقوله :
عسى قلبه بعديه قلبى برقة كما طرفه الفتان بالسقم أعداني
لئن كان ينسى عقد عهد مودتي فلي ملك من فضله ليس ينساني
وحين يبدأ بالخمر يحسن التخلص منه كذلك مثل قوله بمد
أن وصف الخمر :

حمراء تفعل بالألباب ما فعلت سيوف شاه أرمن في عيكر لجب
ولقد كان في النادر بطيل المقدمة إطالة كبيرة حتى تغير على
المدح المقصود من القصيدة ، ولقد كانت المقدمة مرة سبعة عشر
بيتاً في حين أن المدح لم يستغرق أكثر من أحد عشر بيتاً ، غير
أن هنا ملحوظة أحب أن أوجه النظر إليها ، تلك هي صيغة
التجديد التي رفع الصوت بها ، مندداً بأولئك الذين جعلوا كل
مهم تقليد الأقدمين في بدء الشعر بالحديث إلى الأطلال وسؤال
الديار ، وهو في تلك النزعة يشبه - إلى حد كبير - أبا نواس
الذي صاح قبله تلك الصيغة ، واستمع إلى ابن النبيه يقول :

شكر الدمام وشكر موسى مذهبي فلقد محوت بطاعتي عصياني
شغلي مدائحهم وغيري لم يزل كاليوم يندب دارس الجدران
للبيد والقفر الدوارس مشر عدل الزمان بشانهم عن شاني
فأنت تراء يشبه أولئك الذين يتحدثون إلى الديار باليوم
تندب دارس الجدران ، ثم يؤكد لك أن مذهبه لا يشبه مذهبهم ،
وطريقته لا تتفق مع طريقته ويقول :

حسبك لا ينفي سؤال الديار قم ، فاصرف ألم بكأس العقار
واستنطق الميدان إن كنت ذا لب فما ينطق صم الحجار
الجم والير وكأس الطلا أولى بمثلي من سؤال الديار
وهو يشبه في ذلك أبا نواس النبيه سفة أولئك الباكين على
الأطلال والآثار ، وصرح بأن الأولى والأفضل أن يبدأ الشعر
بذكر الخمر وما إلى الخمر

ولقد سار ابن النبيه على تلك الطريقة فلم يبدأ شعره يوماً
بسؤال حجر ولا استنطاق أثر ، وهناك نقطة ثانية تراها في بعض
مدحه تلك هي نقطة الاستطراد والدخول في موضوع جديد
بمناسبة ذكره ، ولتمثل لذلك مدحه للخليفة الناصر فهو قد مدحه
وأثنى عليه ، وما هو إلا أن ذكر انتسابه للنبي حتى مضى بمدح
النبي ، ويذكر خصاله ومعجزاته ولعل ذلك نشأ من أن الخليفة
في ذلك الوقت لم يكن له من السلطان والقوة شيء ، وإنما كان
يمتد بالسلطة الروحية التي تستمد من النبي ، فلا جرم كان مدح
النبي مصدر تلك السلطة مدحاً للخليفة ، وترقية من شأنه ،
هذا وقصائد مدحه متوسطة بين الطول والقصر غير أنه كان
يقصرها أحياناً ، ولكن لا يفوته أن يمتد عن هذا القصر ،

القرى والزروع والأشجار ، والبيادر ليست كالطريق بين طهران
وأصفهان . ومهرنا بقرية صغيرة وقف عليها السائق قائلاً لا يفترنا
أن نأكل من عسل هذه البلدة فهو حديث الزكيان . ثم دخل
بناء إلى جانب الطريق ، وعاد بقليل من العسل والزبد والخبز .
وقد صدق الخبر خبر صاحبنا فقد وجدنا عسلاً صافياً بارداً فقلنا
قد أبدلتنا الله بشامة تحت شير عسل راهجرد . وعادى بنا السير
حتى اجتزنا بقرية اسمها إبراهيم آباد فملنا أننا على مقربة من غابتنا ،
وبعد نصف ساعة وقفنا في مدخل سلطان آباد والساعة ست
وخمس وأربعون مساءً بعد أن فصلنا أسبهاً بعشر ساعات
ونصف ، فرأى الشرطة جواز السفر ودخلنا المدينة :

مهر الرقاب عزام

لنصت إليه حين يقول أرتجالاً :

أمانا أيها القمر المثل فمن جفنيك آسياف تسل
يزيد جال وجهك كل يوم ولي جيد بنوب ويضمحل
وما عرف السقام طريق جسمي ولكن دلك من أهوى يدل
إذا نشرت ذوائبه عليه رى ماء يرف عليه ظل
أيامك القلوب فتكت فيها وفتك في الرعية لا يحل
قليل الوصل ينفعها فإن لم يصبها وابل منه فطل
أدر كأس الدمام على الندى فمن خديك لي راح وتقل
فتيراني بغيرك ليس تطلق وأحزاني بغيرك لا تبيل
فهو مع استخدام الصناعة اللفظية لم يزل جبال الشعر
رائماً خلاها كما ترى

أحمد أحمد حمدي

(يتبع)

ظهرت الطبعة الجديدة لكتاب

رفائك

صباح ثلث العشرتين

شاعر الحب والجمال (للشاعر)

مترجمة بقلم

محمد حسن الزيات

والقصة قطعة من شباب لامتري ، وجنوة من
شعوره ، ولحن من شعره . طبعها لجنة التأليف والترجمة
والنشر طبعة أنيقة منقحة رخيصة فاطلها منها أو من إدارة
الرسالة أو من أي مكتبة ، والخرن ١٢ قرشاً

ولنختم الحديث عن مدحه بذكر قطعة صغيرة تمطيك سورة عن
هذا المدح : قال يمدح الملك الأشرف ، ويذكر دخوله مدينة
خلاط :

أبي ، سخي تحت سطوته الغني تخف وتيقن أن في عسره يسرا
هو البحر بل أستغفر الله إن في بنان يديه للندى أبحرا عشرا
لحي الله حربا لم يكن قلب جيشها ومجلس عدل لا يكون به صدرا
أطل على أخلاط يوم قدومه بلجة جيش بلا السهل والوعرا
تلقاه من بعد السافة أهلها فذا رافع كفا وذا ساجد شكرا
فشككت أن الناس قد حشروا ضحا

أم الناس يستسقون دهم القطرا
أما غزل شاعرنا فتوعان : غزل هو مقدمة لمدح ، وغزل
قصد إليه قصداً وعنا من أول الأمر ، وهو في كلا الغزلين
عذب جميل تحس فيه رقة الهوى وشكواه ، وقد تحدثنا عن
تغزله بالفلان : السقا منهم والجنود ، ومن الرقيق هنا أنه كان
يستخدم ألفاظاً للتورية كقوله في غلام يهودي :

من آل إسرائيل علقته عذبي بالصد والتيه
أزلت السلى على قلبه وأزل المنى على فيه

على أن غزله لم يقتصر على المذكر ، بل كان يتغزل كذلك
بالؤنث وإن كان قليلاً . ومن أرقه قوله :

إلى كم أكرم البلوى ودمى يروح يحضر السر الخفي
وكم أشكو للآهية غراي فويل للشجي من الخلى
ممنمة لها طرف سقيم شديد الأخذ للقلب البري
وشاحها على خصر مدمم ومثروها على ردف ملي
وقد صدرنا مقالنا بشيء من هذا الغزل الرقيق الذي شهر به
شاعرنا حتى أصبح يقال في حقه : هو صاحب الغزل البديع ،
فهو جميل حين يصف لك الحب وإن كان وصفا حسياً ، وجميل
حين يذكر أيام الرسل أو حين يبيد إلى نفسه ذكرى الأيام
العذبة ويقول :

أرى لأياي بوصلك عودة ولو أنها في بعض أحلام الكرى
زمن شربت زلال وصلك صافيا

وجنيت ورد رضاك أخضر منمرا
ملكك فيه يندى حين فتحها لم ألق إلا حسرة وتفكرا

القبلة المبنوعة

تحفة من الشعر الرائع

للعالم الشاعر الأستاذ أحمد الزين

على مذهب روسو

ثورة على الحضارة

للاستاذ محمود غنيم

ذَرَعْتُمُ الْجَوَّ أَشْبَارًا وَأَمْبَالًا وَجُبْتُمُ الْبَحْرَ أَعْمَاقًا وَأَطْوَالَ
فَهَلْ تَقَعْتُمُ هُمُومَ الْعَيْشِ خَرْدَلَةً أَوْ زِدْتُمُو فِي نَعِيمِ الْعَيْشِ مَسْتَقَالًا ؟
صَرَعِي الْمَوَاءَ وَغَرَقِي الْمَاءَ قَدْ كَثُرُوا وَرَاكِبَ الْحَيْلِ جَرَّ الذَّيْلِ مَخْتَلًا
الْعَيْشُ أَلَيْنَ ظَهَرَ مِنْ مَرَاكِبٍ إِنْ

جَنَّبْنِ هَوْلًا فَقَدْ قَرَّبْنِ أَهْوَالَ
تَسْمُ الْقَوْمَ غَرْبَ الْجَوِّ وَانْطَلَقُوا كَأَنَّ الْقَوْمَ فِي الْأَفْلاكِ آمَالًا
أَقْسَمْتُ لَوْ دَنَتِ الْأَفْلاكُ طَائِفَةً فَتَالَهَا الرَّهْ لَمْ يَقْنَعْ بِمَا تَالَا

إِنِّي أَرَى النَّاسَ مَا زَادُوا رَفَاهِيَّةً فِي الْعَيْشِ زَادُوا تَعْقِيدًا وَإِشْكَالًا
كَمْ هَانَ أَمْرُ قَلْبَدَانٍ طَائِفَةٍ مِنَ الْخَوَاشِي وَحِمْلَانِ أَنْتَقَالًا
تَجَاوَزَ الْعُرْفُ وَالْعَادَاتُ حَدَّهَا فَأَصْبَحَا فِي رِقَابِ النَّاسِ أَغْلَالًا
يَا طَالَمَا حَدَّثَنِي النَّفْسُ قَائِلَةً أَحْنِ أَنْفِي أَمْ أَسْلَقْنَا بَالًا ؟
كَانَتْ حَيَاتُهُمْ تُضَيُّ بِسَاطِنِهَا عَلَيْهِمْ مِنْ هَدْوِ الْبَالِ سِرَالًا
كَمْ لِلنَّحَاكِمِ أَحْكَامُ يَقُومُ بِهَا فِي الْبَدْوِ فَيُضَلُّهُ - وَالْقَوْلُ مَا قَالَا
لَا الْحَقُّ ضَاعَ إِذَا مَا عَيَّ مَدْرُهُ وَلَا تَرَقَّبُ يَوْمَ الْفَصْلِ قَدْ طَالَا
قَدْ وَرَثَ الْوَقْتُ تَقْدِيرَ التَّصْبِيحِ بِهِ فَكَدْتُمْ تَعْلُوزُونَ اللَّيْلَ أَعْمَالًا
أَتَغْنَمُ الْوَقْتَ بِالْأَعْمَالِ وَيَحْكُمُو هَلَا أَضْمَتُمْ إِلَى الْأَجَالِ آجَالًا

تَحْضُرُ النَّاسُ حَتَّى مَالِكُومَةٍ قُدُسٌ لَيْسَ بِهِمْ وَلَكِنْ قُدُسُوا الْمَالَا
فِي كُلِّ مَمْلَكَةٍ حَرْبٌ مَنْظُومَةٌ تَضُمُ جَيْشِينَ : مُلَّاكًا وَعَمَالَا
يَدُ السِّيَاسَةِ بِالْأَخْلَاقِ قَدْ عُبِثَتْ وَقَرُضَ الْعِلْمُ صَرَحَ الدِّينِ فَانْهَالَا
الْبَدْوُ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا وَأَحْسِبُهُمْ اللَّهُ أَكْثَرُ تَقْدِيرًا وَإِحْجَالَا
قَالُوا : تَأَلَّقَ نَوْرُ الْعِلْمِ ، قُلْتُ لَهُمْ : جَلَّ نَارُهُ أَصْبَحَتْ تَرْدَادُ إِشْجَالَا

بَاغَةً الصَّدْرَ مِنْ حَرِّ الْجَوِّ يَزِيدُ أَبَتْ شِفَاءَكَ حَتَّى بِالْمَوَاعِيدِ
سِحْرِيَّةُ الْفَمِ لَوْ مَتَّ بِقَبْلِهَا فَمَ - الْقَيْيَ لَحَلَّتْ كُلُّ مَعْقُودِ
تَكَادَ مِنْ رِقَّةٍ تُغْرِي مَقْبَلَهَا أَنْ يَحْتَفِ بِهَا رَجَبًا غَيْرَ مَرُودِ
قَدْ صَاغَهَا اللَّهُ لَنَا أَشْرَكَتْ أُمُّ قُلِّ الْبَحِيلَةِ جُودِي لَا لَقِيَتْ حُرِّي
وَسَاعَةً تَحْتَ أَفْيَاءِ الْمَوِيِّ سَلَقَتْ يَأْسَاعَةً تَحْتَ أَفْيَاءِ الْمَوِيِّ عُرْدِي
مَاضٍ لَوْ أَنَّهَا فِي قُبْلَةٍ سَنَعَتْ مَمْتُ بَرَعْدٍ وَإِنْ صَنَّتْ بِمَوْعُودِ
هَلْ حَازَتْ حَرَّ شَوْقٍ حِينَ الْيُسُهَا أَنْ تُذِيلَ الْوَرْدُ أَنْفَاسِي بِتَصَعِيدِ
رُحْمَاكِ لِلْيَائِسِ الْمَطُولِ يُقْنِعُهُ مِنْ الْوُجُودِ سَخِيَالٌ غَيْرُ مَوْجُودِ
ظَلَّانَ لَا رَشَاقَاتُ الْمَاءِ صَافِيَةً تَمْرُؤِي صَدَاءَ وَلَا بَنْتُ الْعَنَاقِيدِ
شَفَاؤُهُ قَبْلَةً لَوْ أَنَّ مَحْضَرًا دَاوَى بِهَا لَلْوَتِ زَدَتْ غَيْرَ مَرْدُودِ
فَكَمْ أَقْبَلُ تَغْرِ الزَّهْرِ مِنْ شَبَّ بَثْرِكِ الْقَذْبِ فِي حُسْنٍ وَتَوَرِيدِ
عَيْنُ مِنَ الْخُلْدِ مَنْ يَنْهَلُ بِكَوْنِهَا وَرَدَّ الْحَيَاةَ يُفْرَزُ مِنْهُ بِتَخْلِيدِ
صَوْتٌ مِنَ الْقَلْبِ أَمْلِيهِ عَلَى فَيَا وَعَهْدُ حُبِّ عَلَى الْأَيَّامِ مَمْدُودِ
وَالْقُلُوبُ لَنَاتٌ لَيْسَ يَدْرِيهَا بِسَوِي قُوَادٍ بِنَارِ الْوَجْدِ مَمْدُودِ
حَدِيثُ شَوْقٍ بِأَلْحَافٍ وَلَا كَلِمٍ تُفْنِي بِهِ شَفَتِي لِلخَدِّ وَالْجِيدِ
مَمْنٍ مِنَ الْحُبِّ يَسْمُو أَنْ أَوْذِيَةً بِكُلِّ لَفْظٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ مَحْدُودِ
الْفِظْ يَتَقَلُّ بِالتَّرْدِيدِ مَرْمُوقُهُ وَتِلْكَ تَحَلُّو مَعَانِيهَا بِتَرْدِيدِ

دَعِ الرِّسَائِلَ فِيمَا لَا تَحْبِطُ بِهِ تِلْكَ الْغَاثُودِعُ صَرَّخَ الْأَنَاشِيدِ
فَلْيَسْتَقَامِ عَلَى - أَسْأَلُهَا لَذَّةً أَحْلَى عَلَى السَّيِّعِ مِنْ مَرْمَارِ دَاوُدِ
أَذَتْ عَنِ الْقَلْبِ مَا يَبْعَا لِسَانُهُ كَنْيَطُ الطَّيْرِ غَيْرِيْدُ لِيَرْيَدِ
كَمْ قُبْلَةٍ لَا أَرَى الدُّنْيَا لَهَا ثَمَنًا فَلَا تَبْسَعُ غَيْرَ مَمْدُودٍ بِمَعْدُودِ
أَحْمَدُ الزَّيْنِ

وداع...

بقلم وصفي النبي

يا عهداً من حياتي شطرت أنت من قلبي شظايا ألم
يا عهداً قد تولى ذكرها سوف أمشي فوق آلامي وما
سرعاً في الليل أعدو كي أرى هل يطول الليل دهرًا كاملاً؟
كيف أصبحت وراء العدم؟ كيف أرمي عن بقايا الألم؟
أنت من ليلى منار الأنجم في فزادي من بقايا الأسهم
نور أيام تغذت من دمي بل سبغني رغم أف النوم

يا عيني ما بكائي والأسى قد سكبت الدمع في أمسي ولم
خلني أخيراً فحورك فالبصا قد شربت الكأس مرأ علقماً
فلتقف يادهر، ذا وادي الشما هذه دنياي ما عيشي بها
قد تراءى الفجر يزجي نوره فأنودع يا رفاقي أمسنا
غير أصوات بوادٍ مظلم أستع غير التشكي من في
سوف يكوي بني بنار الندم واحتسيت الصبر فوق العاقم
من يرى الرادي وفيه يرتقي؟ باصباحاً إلا كليل أقم
في حنايا الليل يجري كلام فأنجم الصبح أغري بمسما.

وصفي النبي

دمشق

صدر كتاب (في أصول الأدب) :

في أصول الأدب

مخاضت ومقالات في الأدب العربي

بقلم

احمد الزيات

يطلب من إدارة « الرسالة » ومن جميع المكاتب
ومنه ١٢ قرشاً عدا أجرة البريد

عهد الحسام بفضل العلم قد درست يا ربّ حرب بغير العلم ما اتقدت
مدّمرات وغازات مسممة لنا جرائم لم يسبق بها زمن
كم وضّح العلم منهاجاً لختلس آتاه وزمان الرمح قد دالا
وربّ جيش بغير العلم ما صالا تصور الموت ألواناً وأشكالا
باتت تزلزل ركن الأمن زلالا وبات يحى من القانون مقتالا

ابن الحضارة جسم دون عاطفة وبرقها خلّب يفريك بارقه
رسالة الغرب لا كانت رسالته وصورته لعين الشرق أمثلة
تفزو الحضارة أقواماً لتسدم يكاد يحسبه رائيه تمثالا
حتى إذا شمتة ألفتة آلا كم سامنا باسمها خففا وإذلالا
عليا وصورتنا الرحمن أمثالا والزنج أسعد من أربابها حالا

هي الطبيعة ما برّ الأنام بها هل تشهرون عليها الحرب ويحكمو
عودوا إلى حجرها إن شئت مورغدا صوت الهزار وصوت العود أيتها
أقسمت ما نظرت عيني بحاضرة إذا نظرت إليكم من ذرا جبل
يا ربّ قعرله شمس الضحى طفت يود ساكنه لو كان منطلقا
قودوا البخار وسوقوا الكهرباء لكم حياة وموت كان سرهما
كوم حمادة أمّا وبرت بهم من قبل أنجالا
وكم طوت قبل هذا الجيل أجيالا كما نشأتم بهذا الحبر أطفالا
أفراهما أثراً في النفس فمالا؟ كالرمل أصفر أو كالماء ملالالا
لاحت تصوركم الشما أطلالا بين الميرون وبين الشمس قد حالا
كالذهب يسكن أحراراً وأدغالا زلتم بأسرار هذا الكون جهالا
من عهد آدم مستورا وما زالا محمود فقيم

كوم حمادة

مجموعات الرسالة

تحت مجموعة السنة الأولى مجلد ٣٥ قرشاً
تحت مجموعة السنة الثانية (المجلد الأول والمجلد الثاني) ٢٠ قرشاً
وتحت كل مجلد من المجلدات الثلاثة خارج القطر ٥٠ قرشاً

فصول مختصة في الفلسفة الألمانية

٨ - تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا

للأستاذ خليل هنداوي

شوبنهاور

« Schopenhauer »

١٧٨٨ - ١٨٦٠

هذا هو شوبنهاور الذي طبع الفلسفة الألمانية بطابع التشاؤم، فتركها مظلمة قائمة، بخال الجانح إليها أنه نازل في اتفاق بعضها أقم من بعض. نشأ نشأته الأولى بهدوء وسكينة، لا يكاد الناظر إلى وجهه النحاسي يتبين أن وراء هذا الوجه خيوطاً سوداء متصلة بقلبه الأسود؛ وقد خافه الجد في أول عهده كما يخون العظماء، فكبا فاستثقل أن ينهض من كبوته، فما زاده ذلك إلا حقدًا على الناس ومبالغة في الانتقام منهم. اتخذ رسله إلى الناس الكتب؛ فكان أول كتبه «الجنود الأربعة لبند السبب الأتم»، نفاض كتابه في صفوف الناس فلم يلق إلا فشلاً، لأنه لا يزال حامل الاسم، ولما رآه سحابة الحزن ضخمة على ألمانيا المفزوعة المجرحة، فالتاس في شغل عن الفلسفة والفلسفة في شغل عنهم، ولكن شوبنهاور المتشائم لم يثنه ما أصاب كتابه من مواصلة السعي، فأعد عدته لحدث عظيم يترك وراءه دويكاً، فغنى بكتابه «العالم إرادة وتمثيل» وهو خير كتبه، وأكثرها تمثيلاً لشخصيته. فيه من فلسفته الشيء الكثير، ومن الشعر الشيء الكثير... ولكن ذلك لم يقعد ببعض حاسديه عن أن يحملوا على الكاتب وبنالوا منه. فاستهل مطلع الجزء الثاني من كتابه بهذه الأبيات (وهي لفوق)

«لماذا تنفر منا؟

وترى بآرائنا...

أنا لا أكتب لأسرك وأبهجك

ولكني أكتب لأعلك شيئاً»

وقد أسلم كتابه إلى المطابع وولى وجهه شطر إيطاليا موطن الفن، دون أن يرتقب ما يتركه كتابه من تأثير، فقضى

فيها زهاء عامين يحيا حياة بسيطة، هادئة. وبرود مواطن الآثام متأملًا في تلك العظمة الفائرة في تلافيف التراب. وقد كانت له ميول غريزية للفن؛ وكم متع النفس - في حداته - بمباهج الحياة، حتى إذا آب إلى برلين افتتح شعبة خاصة في الجامعة، ولبت شوبنهاور يرتقب عبثًا من يسمع له، أو يأخذ عنه، حتى يئس من نجاحه، وتبرم بمذهب «هيجل» الذي يحتل ذهن الجامعة، وهو - عنده - مذهب الجنون والحال، فما أشد مقتته لأتباع هذا المذهب، ولليهود ذوى الآثرة، والنساء اللواتي يخرجن الكون من قلق إلى قلق. عاد إلى إيطاليا ليتم دراساته الفنية، ثم أقام في «فرانكفورت» وبعد جهاد خمسة عشر عامًا مشتهر إليه الشهرة ذليلة بمد حدود، متفاد بعد جوع، ولقي حتفه عام ١٨٦٠. وهكذا قدر لشوبنهاور أن يصرع مذهب الجديد مذهب «هيجل» الذي تقطعت أسبابه، وتفككت روابطه، وشغرت الأفكار من بعده وأصبحت تتقبل أي مذهب كان يبعثه مجدد.

يعتقد شوبنهاور بأنه هو الوارث الحقيقي لتراث «كانت» وأن «فيخت وشيلنغ وهيجل ما هم إلا أطفال فاسدون»، يرى أن كانت نحا بالفلسفة منحى جديدًا، وسار بها في مناج واضح، أما أتباع كانت فقد ذهبوا بالفلسفة مذهباً وعراً لا مأمّن فينه لسالكه، وأغموها في بقاع هي فوق «المحسوس» تمانق أجزاؤها، وتلاقق أشلاؤها في نقط مظلمة مبهمّة. والآن قد آن للفلسفة أن تدرس حقائق الأشياء الموجودة. «وأن الطريقة المثلى في تأمل الوجود، والوقوف على أطواره ما يصل بنا إلى بواطن الأشياء، وحقيقة أكنائها الخفية، ويطلنا على سر ما يكن وراء كل حادث، لا تسأل الكون من أين أتى؟ وإلى أين عضي، ولماذا وجد؟ ولكنها في كل لحظة وفي كل خطوة تود أن تعرف ما هو؟» وهكذا تحول مجرى العلم النظري الذي كان يجري وراء الخيال، وعاد ينقل من التجارب ما سلم بها الاختبار، ويشرح لنا ناموس الوجود حسب وضعه

يقول شوبنهاور: العالم هو أين تمثيلي وتصويري، وأين الحقيقة التي تصورها احساساتي التي يحولها الفكر إلى معارف. وشوبنهاور لا يتخطى بهذه الفكرة ما اقترضه معلمه «كانت» من قبل. ولكن العالم عنده هو إرادة، هو ميول عمية أو غريزة قاهرة عند الكائنات، وفاعلية حساسة عند الإنسان، ولكنها

وبرغم ما بذله شوبنهاور في إعلانه شأن مذهبه ، وإظهار خطره ، فقد قسا عليه النقد ووجد في مذهبه خطراً يهدد أمانى الإنسانية ، ويقتل كل ما حملته معها منذ فجر الخليقة حتى الآن ، وأرادوا من شوبنهاور أن تهديه النتيجة التى بلغها في أول مراحل « الحياة » هي جهاد عنيف « لا إلى مناصرة الألم القوى ، وتثبيت جذوره السامة في قلوب البشرية ، بل إلى تخفيف أتعافه المراوحة على الكواهل والنوارب . فيعمل بذلك على إخماد الحياة وتكثيرها ، وجعل رسالته رسالة رضا وإبتسام . لا رسالة سحق وامتناض ولكن هب أن شوبنهاور كان قافداً لروح التفاؤل ، فما هو سر انتشار مذهبه الأسود بين الناس ، وقد عدوا أن الحياة لاتندو بمذهبه إلا متجهمة قاطبة . فهل كان شوبنهاور معبراً عما يجول في صدور قومه ويخفق في قلوبهم ، كما كان معبراً عما يختلج في صدره وفي قلبه ؟ قد يكون احتمال الالتهين معاً من أكبر العوامل التى جعلت من شوبنهاور نبياً للتشاؤم محترماً في قومه ، وإن كان صاحب التشاؤم قريباً لا يقبل صحبته غراب

لقد كان شوبنهاور وركن تظلمه خمامة سوداء ، كثير أهزؤه ، نسيج وحده في خلقه . جاءت فلسفته ابنة طبعه ، يحاول أن يقنع بها نفسه ، لا الناس ، لأنه يشعر أن الناس واجد أكثرهم في الحياة نوراً وسعادة ، ولكن نفسه لا تبصر من هذا النور شيئاً على أن أسلوبه الفلسفى هو الذى أحياء ، برغم أن اعتقاده - بالبوذية - لم يرق أمره كذهب . لأن القول لا تقبله وإذا قبلته فلن تفهمه . أما أسلوبه فهو يحرق ويملأ النفس جلالاً . فتفكيره فيه جد وصرامة ، يغلب المنطق على أقواله حتى في الأشياء البعيدة ، يدل استشهاده الكثير على سعة اطلاع ، وقد بلغت منه قوة الملاحظة مبلغاً عظيماً ، حتى تأنى الفكرة منه مبنية على خطأ ، وتأنى أجزاءها صحيحة سليمة ، كأنها البشاعة مبطنه بالجمال ؟ وهو فياض الخيال الذى يتمم مع الفكر دون ما نفور . ولعل أعظم ما جاء منه « فكرة الإرادة » التى بان تأثيرها في الأجيال التى عقيت جيل شوبنهاور ؟ فما زالت هذه الإرادة تتطور وتنمو حتى أوجدت لنفسها مكاناً في العالم الفلسفى والعالم المادى ، ولعل « نيتشه » هو أكبر مولود ومنتهى الإرادة الجارية بين يدي الحياة ؟

(يقع)

مبنى هنسارى

إرادة متمثلة في كل شئ ، هي جهاد عنيف في سبيل الحياة ، نسي (١) لبسط سلطتها وقوتها على ما هو خارج عنها ، الإرادة هي التى القائمة بنفسه الذى لا يتغذ إليه فناء . الحياة هي العمل وقد ينجى للبائع هذه النقطة من فلسفة شوبنهاور أن صاحبها يريد أن يبشر بالفعالية السثمرة والجهاد المتواصل التى لا بد منه لحي ، ولكن شوبنهاور لا يبلغ بك هذه النقطة إلا ليحمل الى نفسك فكرته المسمومة التى تجعل من الدنيا كهفاً مظلماً ، ومعتكلاً تتطاحن فيه الإرادات . بصرع بعضها بعضاً : ألم يصرع ألماً ، وأمل مفسول بالدمع يصارع أملاً مخضياً بالدم الحياة جهاد عنيف . والجهاد العنيف سبب باعث للألم والشقاء . والكائن كلما زاد سموً ورقياً زاد تأله وشقاؤه . وذو النظام النفس أكثر شعوراً بالألم من ذى النظام الناقص المضطرب . أما الشجرة فلا تتألم ، فهي غير حساسة . أما رجل العقل ورجل العبقرية فهي أكثر شقاء وألماً ممن خلُقوا محدودى المدايرك ، ضيق الآفاق . والحياة - معها تجردت - لنا منها حاجات تريد إدراكها ، ونريد أن نذكرها كاملة ، والتكامل ظل طارىء لا يثبت ، وقد تجبر الحاجات حاجات مثلها مما يجعل الحياة - حسب هذا المقياس - لاتتطوى إلا على شقاء ، فلا ندرك كل ما نتمنى ، ولا نتمنى عن التمنى :

وشوبنهاور لإزاء هذه الحالات الفامضة ، وجد كاله وراحته في المذهب البوذى الذى يجرد عن النفس الألم لأنه يقصيه عن الاشتغال في الحياة ، ويدعوه إلى الفناء المطلق في الوجود ، والتأمل في آياته تأملاً ساكناً ، خالياً من الرغبة والشعور

هذا هو شاطىء النجاة القائم التى أوت اليه سفينة شوبنهاور بعد أن طافت في أكتاف المحيط أعواماً ، وهو مذهب كان صاحبه قد استمد منه من تلك السحابة السوداء التى غشيت ألمانيا في عقلها وشعرها وفلسفتها . ومن خيبة طويلة رافقته أكثر أيامه وقد وجد الناقدون القائلون بتأثير الوراثة أن شوبنهاور قد اقتبس من أمه الأيم نظراتها السوداء ، وعن أبيه أخذ الإرادة . ومهما كان تأثير هذه الوراثة المتنقلة بعيداً في نفس شوبنهاور ، فهو تأثير ضئيل لإزاء تلك الموجة التى اكتسحت القطر الألماني جميعاً بما فيه من أدب ومذاهب وشعر وفلسفة

(١) لعل هذه الإرادة هي نفس « الذات المطلقه » عند فيثاغورس - وقد رأينا الذات نسي لبسط سلطتها وقوتها على ما هو خارج عنها «

القصص

من أقاصيص الجاهلية

٣- حرب البسوس

بقلم اليوزباشي أحمد الطاهر

تمت

قال الحرث : « أما مرة بن ذهل فلقد والله عزز على مصابه في ولده وما يحز قلبي إلا مرآه مضر جاً بدمه وموقف المهمل منه يظهر الآسى ويخفى النجاة . ولكنتك تعلم أن من دخل الحرب لم يأمن عواديهها ، وأن من نصب نفسه للقتال فقد استهدف للموت . وإن في صن الرجل بقتله يوم القداء وبذله يقتل بسيف الأعداء شرفاً لا بطاوله شرف ونفاقاً لا يتساقى إليه نفاق ، ولا أحب إلى من أن يقتل بجير ولدى إن كان في قتله صلاح بين ابني وائل وفي دمه وقاء لدم كليب . وأما مقالة السوء التي تقتلوننا بها السنة بذينة لما أحفل بها . ولا أقيم لها وزناً »

وفيما هو يتحدث إذ قدم رجل قد أطلق ساقيه للريح يلث من فرط التعب ولا يكاد يبين : قال الملال « ما بال هذا الرسول يعدو كأنها يسابق الريح ؟ » « والله ما نحسبه إلا أقي يننى لنا المهمل ! » وانكب التنذير على الحرث بن عباد واحتضنه بين ذراعيه وقال :

- « عزاء يا أبا بجير ! عزاء ! »

قالوا : « يا هول المصاب ! ما وراءك يا غراب البين ؟ »

- « عزاء يا حرث ! لقد والله كان أشجع من شهدته الحرب :

أفتنعد من حربهم بعد هذا ؟ »

- « قل يا رجل من الذي مات ؟ »

- « بجير ولدك ! »

- « وكيف مات ! »

- « بل قتل . قتله المهمل بن ربيعة . أفتنعد من حربهم

بعد هذا ؟ »

- « مالك والسألة عن هذا ! أما بجير فتم القتل أصلح

بين بكر وتغلب

وما أحسب المهمل إلا قد أدرك به ثار كليب وجعله كفؤاً له »

قال الناعي : « لا . لقد غابت عنك أشيله . أما جلست أن

كان للناس عجباً أن اعتزل الحرب الحرث بن عباد والفند الزماني ، وامتزج العجب بالحسرة حين انحازت اليهما عشائرهما . ولكنهما والمشار قوم جنحوا للسلم ، وأزادوا أن يأخذوا الأمور بالرفق والحلم ، وعز عليهم أن تعير بالقوم عتقاء ، وأن تراق هذه الدماء ، في مقتل ناقة مجنء

جلس الحرث بن عباد يوماً على شرف من الأرض واجتمع الناس حوله يقصون عليه من أنباء القتال ما أمضه وزاد في حسرته . واندفع الحرث في اللوم والتثريب : بسبب على بكر ما فعل فتاها من قتل كليب بناب من الابل وما جرت فعلته التكرار من كرب وبلاء . قال له الفند الزماني : « إنك يا حرث قد أسرفت في اللوم والتثريب ، أما ترى لهذا الشيخ مرة بن ذهل وقد توات عليه المصائب وتراحت عليه النوائب ، وكانت أخرها قتل ابنه همام الذي صن به يوم عرض الفدية . وأنت تعلم مكان همام من قومه وعشيرته ! لشد ما يحزني قتل هذا الفتى . لشد ما يحزني قعودنا عن نصرة بكر وقد أسرف المهمل في النكال . وهالني ما يقتدر به القوم علينا في مجالسهم ومجامعهم : قال قوم : إننا جبناء ، وقال آخرون : إننا ضعفاء الرأي قليلو الحيلة ، وقال آخرون : إننا أذلاء . تملق تغلب ونصطنع عندهم يدأ بقعودنا عن مناجرتهم . وحسبنا بها فرية تحط من كرامتنا وتضع من عزتنا . فهل أنت علي رأيتك مقيم ؟ »

قال : « وكيف قتال النساء ؟ » قال : « تمعدون إلى كل امرأة لها جلد ونفس ، فتعطى كل واحد منهن أداة وهراوة ، فإذا صفت أحجابك فصنعن خلفهم فان ذلك مما يزيد الرجال جليداً وشدة ونشاطاً ، ثم تملأوا بملامة تعرفها نسائكم فإذا خرج منكم إنسان في القتال أمرن بسقيه ، وإذا مررن من عدوكم بأنسان ضربنه بهراوة فقتلنه » وفعل الحرث بن همام ما أمر به الحرث بن عباد . وكان هو أول من أشار بحشد النساء مع الرجال . وحلقوا رؤسهم علامة بينهم وبين النساء . وسعى هذا اليوم يوم « تحلاق اللحم »

وخرج النساء من دورهن أسراباً عتشدات ، وهى يد بكل واحدة أداة وهراوة ، ووقفت تلقاء من إحدى بنات الفند الزمانى وصاحت : « يا مشر القوم ! أحب إلينا أن نموت مع الرجال في ساحة الوغى أحراراً ، من أن نبقى في دورنا ذلة وانكساراً . فاما عودا مع رجالنا منتصرين ، أو هلا كأمع الممالكين ، وسيرى القوم أن المرأة البكرية لا تقل عن الرجل تحملاً للشرف وحفظاً للكرامة ، وحرصاً على الثار . يأنسها الحى احنى على القتال احنى على القتال احنى »

ثم برزت أختها ووقفت إلى جوارها وتغنت الفتاتان بأبيات ترهف الشعور ، وتوغر الصدور

وتدافع القوم رجالاً ونساء للقتال : لما كنت ترى إلا أعناقاً تمتد إلى الموت ، وأجساماً تتراحم على الردى ، وصدوراً تهبط وتعلو من فرط الجوى . ثم حى وطيس الحرب ، واشتد البلاء . واشتكت الأسنة ، وسالت الدماء ، وظهرت تغلب حمرة تستمر استمراراً ، وناراً تغطرم اضطراماً ، وانقضت على بكر تحصد أعناق رجالها ، وتطيح رقاب أبطالها ، حتى تراجع البكريون وأيقنوا بالفناء ، وظنوا أن لا كاشف لهذا البلاء ، وفيها هم يتمثرون في انكسارهم أقبلت كرمة بنت ضلع أم مالك بن زيد فارس بكر . وغنت :

نحن بنات طارق نمشى على المفارق
نمشى القطى البارق المسك في المفارق
والدر في الخفاق إن تقبلوا نمانق
عرس المولى طالق والمار منه لاحق

المهل عند ما طمن بجيراً قال له : (يؤشع نمل كليب) ؟
قال الحرث : « أقالها والله ؟ »

« نعم ولقد تجاوبها الحى من أقصاء إلى أقصاء »

قال الفند الزمانى : « يا للمذلة ! ويا للعار ! »

قال الناعى : « وارحمناه لهما زين الشباب ! »

قال الحرث : « دعاها ما وقتل زين الشباب . لقد أسرف المهمل وجاوز الحد . وما عرف لهذا الفنى الذى لم يخطب المشرين حرمة وهو ابن أخته . ولم يعرف لى سابقى وقد كفت عن حربه : قريبا صر يبط النمامة منى لفعت حرب وائل عن خبالى لم أكن من جناتها علم الله ولى بجرها اليوم سالى فأحضر له غلامه النمامة وهى فرس له ، فركبها وخرج يدعو المشائر للقتال قلبته يشكر ، وعجل ، وبنو حنيفة ، وبنو قيس بن ثعلبة . وسادتهم ، وسار في القوم الفند الزمانى وكان يقوم بألف رجل ، وترأس القوم الحرث بن همام البكرى

ولما اجتمع القوم وقف الحرث بن عباد خطيباً فاعتذر لهم عن نفسه وعن الفند الزمانى فيما كان منهما من إحجام عن خوض هذه اللجة التى طفت على القوم فأصبحوا فيها مغرقين وقال إنه والفند قد استمسكا بالصبر والأناة حتى لم يعد في قوس الصبر نزع ، والمهل قد أسرف في سفك الدماء وجاوز حد الفداء ، ولم يحسب لنا قعودنا عن حربه وقد ناصبه قومنا الدماء ، وما هو ذا قد قتل بجيراً ولدى وإنى لأشهدكم - علم الله - على أننى حين بلغت مقتل بجير طابت نفسى وأطأنت ظناً بأن المهمل سيجد في قتله غناء عن الحرب وكفاء للفدية ، ولكننى أسرفت في الظن الجليل ، وأسرف المهمل في التنكيل ، فالكوت بعد اليوم لا يزكو بالحر ، ولا يبرره عذر ، يا قوم ! لا أدعوكم للقتال انتقاماً لعزى ديثت بالصفسار ، ودماء جرت كالأنهار ، ودفماً للمذلة والعار . . . »

ثم نظر إلى الحرث بن همام البكرى وقال له « وأنت يا ابن همام هل أنت مطيع فيما أمرك به ؟ » قال : « ما أنا بتارك رأيك إلى ما هو شر منه » قال : « اعلم أن القوم مستقلون لقومك في السلم وازدادوا جرأة في الحرب فلنقاتلهم بالنساء فضلاً عن الرجال »

أسرف الحرث « ، » يخلى المهمل بعد أسره ؟ « » أليس المهمل قاتل ولده ؟ «

« قلنا إن الحرث ضعيف الرأي . » « يل الحرث جبان ! »
« كانت فرصة ولن تعود . » « ولكن هو الوفاء »
« ولكن اسمعوا يا قوم . سماع ! سماع ! سماع : لقد بالغ الحرث في مدة المهمل ومهائنه . فما تركه إلا وقد جز ناصيته كما يجز صوف النعاج »

وفيما هم يتندرون على المهمل وجز ناصيته ، ويختلفون في تأويل مسلك الحرث ، إذ أقبل الحرث وطى وجهه آثار مختلفة فيها الأعياء وفيها الزهو وفيها الأسف وفيها الرضى . فأقبل عليه القوم بعضهم يشدد يده سهنًا ، وبعضهم ينحى عليه باللائمة ، وبعضهم يقره على وفائه بالمهد

قال الحرث بن عباد : « وما تركته حتى جززت ناصيته عبرة ونكالا ، أما تخليته لما كنت لأعدل عنها ، وقد وعدت الرجل وأنا أجمله ، ولو قد نكثت بعهدي للحقت بي سبة لا يحصوها الدهر ولا يفرها الأهل
لطف نقسى على عدى ، ولم أء رف عدياً إذ أسكنتني البدان !

قال الراوى : ومنذ ذلك اليوم قارق المهمل قومه ونزل في مذبح ولم تقم له قاعة ، وظل البكريون من رحيق التعمر ينهلون البرزبانى أعمر الطاهر

وما أشد ما يفعل الغناء والنسا في نفوس الأبطال . كان لهذه الأنشودة نعم كأنه خيوط انتظمت عليها الصفوف واتحدت في سلكها القلوب ، بل كان النغم قبساً من نور سهادى نفذ إلى القلوب فأضاءها ، وإلى النفوس فأناورها ، وإلى الذرائع فقواها ، وإلى المهم فقتلها . وسار القوم على هداه إلى نصر مبين . تدافعوا على المدو واقتحموا الصفوف واستباحوا الماقل ، وانكشف الهول فاذا المهاجم يرتد ، وإذا المهزوم يشتد ، وإذا تغلب بين قتيل وأسير وشريد

وانكشفت الغاشية ، ونظر البكريون فيما بينهم فاذا بالحرث ابن عباد قد خلت منه الصفوف . فجزعوا وفرغوا . وذهبت بهم الظنون كل مذهب . وفيما هم في حيرتهم إذ أقبل فارس ينهب الأرض نهياً . قالوا لعل عنده الخبر اليقين . قال : « كأنى بكم تبحثون عن الحرث بن عباد ، سأقص عليكم خبره . » ذهب في أثر بطل من أبطال تغلب وانقض الحرث عليه كما ينقض النسر على الفرخ ، وإذا بطل تغلب بين يديه كالصفرور قد هيض جناحه وقال له الحرث : أدلتنى على عدى بن ربيعة المهمل وأخلى عنك ؟ قال الأسير : أدلك عليه إن وثقت من وعدك . قال الحرث : قد وعدتك . قال الأسير : أما المهمل ! ، فما وسع الحرث إلا أن يفي بوعده ويخلى الرجل

صاح القوم صيحة نكراء وهاجوا وماجوا . قالوا : « لقد

السورة العربية

بقلم **فخرى أبو الشيب** المدرس بالعباسية الثانوية

كتاب يجب أن يقرأه كل مصري

يطلب من المكتبة التجارية بشاى محمد على والتهنئة بالمذابح والحدود بالجمالة وهندية بميدان سوارس بالقاهرة والعباسية بالاسكندرية ومكتبة شبلى بسكة الجديدة بطنطا

التمنى ٥ النسخ الباقية معدودة

تاريخ حياة ألف ليلة وليلة

بحث صاف مفصل في تاريخ هذا الكتاب وتحليله

تجده منشوراً في كتاب

في أصول الأدب

وقد صدر في هذا الأسبوع في ٢٢٠ صفحة

فاطلبه من إدارة الرسالة ومن جميع المكتاب ونمته ١٢ قرشاً

البريد الأدبي

تعليل وتمقيب

لامرئين

قرأت في « الرسالة » الفراء في باب « من هنا ومن هناك » من العدد التاسع والسبعين ، كلمة عن نسب لامرئين الشاعر الفرنسي الملمم واحتمال أن يكون متسللاً من أصل عربي كما كان يقول هو عن نفسه . وللتعاون مع الباحث في هذه السألة أقول : إنني وجماعة من الأدباء ، منذ مدة قريبة كنا نذكرنا في هذا الموضوع ، وبعد استعراض ما قيل فيه مما جلبه حضرة الأستاذ صاحب المجلة ، جوّزنا على تقدير عريية الشاعر أن يكون بين اسمه واسم أسرة المارقي صلة ما ، ولا سيما أن أصل الاسم هو الأمرين أي المارقي كان كتبها بالحروف الافرنجية . وأسرة المارقي هي من الأسر المنتشرة في هذه الجبال الريفية ، والتي يقلب أن يكون أهلها من عرب الأندلس المهاجرين إلى المغرب . فهذا مما يزيد قوة الاعتقاد بعريية لامرئين . نعم هذه النون التي في الطرف ليست في اسم الأميرة المذكورة ، ولكن لا مانع أن تكون من نصرف الألسنة الفرنجية في الاسم كما هو معهود منها اليوم مع هذا الاختلاط العظيم ، فكيف به قبل ؟ وعلى كل حال فهذا التعليق القصير ربما ياتي بصيصاً من النور على هذا البحث الطويل

بشر بن عوانة

كذلك قرأت في الباب نفسه من نفس عدد المجلة بحثاً صغيراً مضمونه الشك في حقيقة حياة هذا الشاعر العربي وترجيح أن يكون شخصية خرافية من شخصيات المقامات كأبي الفتح الاسكندري والحارث بن همام ؛ ذلك لأن الكاتب لم يقف على اسم بشر هذا في سفر من أسفار التاريخ ولا في كتاب من كتب الأدب التي قرأها الا في مقامات بديع الزمان وكتاب تاريخ أدب اللغة العربية لجرى زيدان وكتب المحفوظات للمدارس المصرية فرجح عنده إنكار وجوده . وبما أنني كنت وقعت على اسم بشر المذكور في غير هذه الكتب ، رجعت إلى المظان التي أذكر أنني رأيته فيها فوجدت من أقربها كتاب « المثل السائر » . وقد جاء

ذكر بشر فيه في الصفحة ٦٤ (طبع مصر بالمطبعة البهية) حيث قال : « وكذلك وردت لفظة مشمخر فان بشرأ استعمالها في أبياته التي يصف فيها لقاء للأسد فقال :

وأطلقت الهند من يميني فقد له من الأضلاع عشرا
غفر مضر جاً بدم كائن هدمت به بناء مشمخرا »
وخدمة للأدب فقط كتبت هذا التعليل ، وإلا لحياة بشر لا تثبت بمثل هذا الذكر استطراداً ، على أن قصته التي حكاه البديع تسف حتى تلتحق بالخرافات لما فيها من التناقضات (١)
طبعة
عبد الله كنزويه الحنفى

مول رواية نهر الجنون

... قرأت في العدد (٨٤) من الرسالة الفراء مقالاً للأستاذ (جورج وغريس) تحت عنوان (سياحة في نهر الجنون) ... ذكر فيه خلاصة موجزة للقصة التمثيلية (نهر الجنون) للأستاذ توفيق الحكيم ، وذكر كيف أن للرحوم جبران خليل جبران نشر شبيه هذه القصة في كتابه الجنون . وتساءل الأستاذ (جورج وغريس) : هل هناك اقتباس ؟ ! وأشارت الرسالة في نهاية المقال إلى أن مصدر الكاتبين قد يكون واحداً ..

وقد نشر نفس القصة الكاتب التركي المرحوم « عمر سيف الدين » سنة (١٣٢٦) رومية أي منذ خمس وعشرين سنة تقريباً في كتابه المبدع الخلق « كيزلي معبد » تحت عنوان (الماء الذي شربه الجميع ، أسطورة صينية) صفحة (١٢٧) والقصة تلتخص فيما يلي : كان (لينغ - يو) ملكاً عادلاً حكيماً ، توفر في أيامه الهدوء للريعية ، فجاء في أحد الأيام ساحر وأعلمه أن أمطاراً غزيرة ستهطل مدى أيام ، وكل من يشرب ماء خالطته قطرة من هذه الأمطار يصبح مجنوناً لا محالة . فأمر الملك بملء صهاريج القصر وكل ما فيه من أوان ماء نقياً عذبا لينجو من شرب الماء السبب للجنون . . . وبعد أيام بدأت الأمطار بالتهطل ودام انهيارها أياماً

(١) ذلك الى أن ابن الأمير صاحب المثل السائر من رجال القرن السابع ، وبديع الزمان من رجال القرن الرابع ، فلا يبعد أن يكون تافلاً عنه كثيره فالعبرة إذن بالتصوير التي تسبق زمان البديع (الرسالة)

حوالي سنة ١٨٢٠ بجوار أخت لها تدعى لور وهي زوجة مهندس يدعى سير فيل ، وكان بلزاك يزور صديقه المهندس سير فيل وزوجه ، فتعرف بالطبع بأختها مدام زولما ، ونشأت بينهما صداقة حميمة ، وكان بلزاك يشمر نحو مدام زولما بماطفة حثان خاصة ليست هي الحب ، وكانت مدام زولما تبادل عطفه وصداقته ، ولما نقل زوجها الى بعض مدن الأقاليم ، سافر بلزاك لزيارتها ، وأقام حينئذ الى جانبها ، وكان أثناء بعهده عنها في باريس ، وحينما تحجزه صاحبه المركزية دي كاستري ، بنفس عن نفسه بالكتابة الى مدام زولما ، وتكتب هي اليه ، وكان بلزاك يودع هذه الرسائل كثيراً من أسرار روحه وقلبه وآماله وشجونه ، ويصوغها في قالب رفيع من البلاغة ، وذهب في كباره وصداقته لمدام زولما الى حد أن أهدى اليها قصته « منزل نوسنجان »

نم وقع بلزاك في حب الكونتس هانسكا ، وأثار هذا الفزو الجديد في قلبه شجناً واضطراباً ، فكان كلما غلبه الشجن ، أو ضاقت به السبل وأرهقه الدائنون يفر الى مدام زولما فيقيم مع هذه الأسرة المحبوبة أياماً يروح فيها عن نفسه خلال الأيتاس والزهر وبعد فترة طويلة من الزمن قضاه الكاتب الكبير في متاعب وأزمات مختلفة اقترن بصاحبه الكونتس الأجنبية سنة ١٨٥٠ ؛ ولكنه لم يعيش بعد زواجه سوى ثلاثة أشهر ، ولكن مدام زولما عاشت بعده أعواماً طويلة ؛ ولها اليوم حفيذة على قيد الحياة تدعى مدام جورج باييل ؛ واليها يهدي مسيو بوترون رسائل بلزاك الجديدة

محمود عاماً لوفاة فكتور هوغو

تستعد دوائر فرنسا الأدبية للاحتفال بالعيد الخمسين لوفاة شاعر فرنسا الأشهر فكتور هوغو الذي توفي في يونيو سنة ١٨٨٥ وسيجري الاحتفال بهذه الذكرى في جميع أرجاء فرنسا ، ويوضع تحت رعاية الحكومة الرسمية ، وباقي وزير المعارف بهذه المناسبة خطاباً رسمياً على قبر الشاعر اتباعاً للتقاليد المعروفة ، وقد رأت إدارة مسرح الكوميدي فرانسيز ، وهو مسرح الدولة أن تشارك في الاحتفال بهذه الذكرى ، وأن يكون اشتراكها عملياً ، وذلك بأن تخصص مونمناً خاصاً لتقيل بعض روايات هوغو الشهيرة بيتدي في مارس وينتهي في أول يونيو ، وهو تاريخ وفاة الشاعر ، وأن يمثل خلال هذا الموسم من رواياته القطع الآتية : « روى بلاس » ، « هرناني » ، « ماريون دي لورم » ، « لوكريس بوجيا » وغيرها

وأما سابع . . فغالط ماؤها ماء الينابيع والآبار فجئ السكان كلهم ، وانتشروا في الأزقة والساحات يصيحون ويصرخون ، وتجمع قسم كبير منهم حول قصر الملك وأخذوا يسخرون منه ومن صبيبه الذين ظلموا عقلاء حتى تلك الساعة بفضل الماء المخزون في صهاريج القصر . فكان إذا بدا واحد من سكان القصر في إحدى الشرفات صاحوا بصوت واحد قائلين : « مجنون ! انظروا المجنون ! » وأصبحت الحالة لا تطاق ، فلم ير الملك بداً من أن يشرب هو أيضاً من ماء الجنون ، فتناول منه قدحاً وهو يقول : « لا لزوم لبضعة عقول صحيحة بين هؤلاء المجانين . . »

ومرت الأيام والسنوات . . وتواصل هذا النظام الجنوني وأطلقوا عليه « نظاماً اجتماعياً » ، وزُج كل من عاوده عقله من هؤلاء المجانين في أمكنة أطلق عليها (مستشفيات المجانين) . . ومنذ ذلك الحين لا ينفك العلماء من ترديد هذا القول : « الصين منبع الحكمة والعقل . . . »

فالقصة التي نشرها المرحوم جبران والأستاذ الحكيم ليست سوى أسطورة سينية تناقلتها أكثر اللغات
دمشق
الدكتور محمد سالم

رسائل هيريزه لبلزاك

لأدباء الغرب شغف خاص باستقصاء الآثار والرسائل الخاصة لأعلام الكتاب والمفكرين ، وكثيراً ما يؤدي هذا الشغف الى نتائج أدبية باهرة ، فيظفر البحث بأثار ورسائل جديدة لها قيمتها في درس شخصية صاحبها . ومنذ بضعة أعوام ظفر الكاتب الفرنسي مارسيل بوترون بطائفة من رسائل بلزاك الخاصة الى صديقه مدام « زولما كارو » . واونوريه دي بلزاك هو القصصى الفيلسوف الفرنسي الذي تصد آثاره من أقيم ما أنتج الأدب الرفيع في القرن التاسع عشر . ونشر مسيو بوترون بعض هذه الرسائل في مجلة « العالمين » سنة ١٩٢٣ ؛ ثم ظفر بطائفة جديدة منها ، وجمع الجميع في كتاب واحد صدر أخيراً ، وعنوانه « مراسلة لم تنشر لبلزاك »

وليست هذه الرسائل رسائل غرام كما يقادر الى الدهن ، ولكنها رسائل صداقة خالصة ؛ وهذا النوع من الرسالة نادر في حياة أكار الكتاب إذا كتبوا لامرأة يشغفهم سحرها ، ولكن بلزاك كان فيلسوفاً . وقد جمعت بينه وبين مدام زولما كلارو نظروف عرسية ، فقد كانت تقيم مع زوجها الضابط كلرو



أدولف

للكاتب الفرنسي بنجامان كروست

ترجمة الدكتور حسن صادق

يطلب من مكتبة النهضة المصرية ونحو ١٠ دروس

لا يزال فن القصص عندنا في بدء مرحلته الأولى ، ولازال أدباؤنا يتلمسون طريقهم إلى القصة ويتوقون إلى رؤية هذا الفن من فنون الأدب ، وقد انقاد لهم ووصل في أيديهم إلى مثل تلك الدرجة التي وصل إليها في الآداب الغربية ، ذلك لأن القصة في منحائها وطبيعتها تركيبها ، من أهم وسائل التثقيف وأيسرها ، كما أنها من ألذ ضروب الاستمتاع وأقربها إلى القلب والذهن ، والقصة الجيدة بلا شك هي الحياة في ناحية من نواحيها ، ففيها ما في الحياة من معان ، وفيها ما في الحياة من اضطراب

وهذا الانقمار في أدبنا إلى القصة ، يجعلنا نرحب بكل تعريب جيد لشعيرات القصص في الأدب الغربي ، إذ بذلك تتوفر لدينا النماذج وتنوع المثل ، فضلاً عما يكون لثل تلك القصص من عظيم الأثر في تهذيب الذوق وسقوله ، وإيقاظ العواطف وحسن توجيهها

نعم إن لكل أمة ذوقاً ، ولكل أمة شرعة ومنهاجاً ، ولكل أمة وجهة تتجه إليها حسب ماركب في طبيعتها من ميول ، وكن القصص ملكة لا تكتسب ، ولكن الأديب المصري الموهوب مع ذلك لابد له من نماذج ، وهو كفيل أن يشكل قصته على هدى تلك النماذج حسبما يتفق مع بيئته

ولقد اختار الدكتور حسن صادق قصة أدولف ، فنقلها إلى العربية ، وهي من القصص الفرنسية التي حازت عظيم الشهرة في أوروبا كلها ، وهي واحدة من تلك القصص التي تلائم كل بيئة وكل عصر ، فليست من ذلك النوع المحصور الذي يتقيد في وضعه بغاية محدودة كال دعوة إلى إصلاح اجتماعي في ناحية من نواحي الحياة ، أو من ذلك النوع الذي تصور فيه آمال ومثل عصر من العصور ، حتى إذا انقضى زمنها أصبحت لاغنية فيها ، بل هي من تلك الآثار الخالدة التي تسير الحياة وتطالب الغناء ،

وحسبك أنها قطعة فنية تقرأ فيها خطرات نفس كبيرة أملتها تلك العاطفة المشبوبة ، عاطفة الحب في شرح الشباب ولما كانت هذه ميزتها ، فأنا أعتقد أن المترجم الفاضل قد أحسن الاختيار فقدم إلى قراء العربية أثراً أدبياً جليلاً ستلهم قراءته وسيمجهم ما جاء فيه من روعة التعبير عن خلجات النفس ومنازع القلب ، ولقد أحسن أيضاً حين قدم لكتابه بفصل طويل دقيق ، شرح فيه حياة المؤلف وحياة العصر الذي عاش فيه ، مما جعل كتابه يجمع إلى اللذة الفنية ، لذة ذلك البحث التاريخي القيم أما أسلوب الترجمة فتين مشرق ، تحس به في أول الكتاب عسيراً بمض العسر ، ولكنه لا يلبث أن يلين ويمدب ثم يطرد ، وقد تراءى في بعض مواطنه بعض الصور والتراكيب الفرنسية نشأت من محافظة المترجم على دقة الترجمة ، ولكن الأسلوب على الجملة صحيح التركيب ، فصيح الأداء ، يشهد للمترجم بما بذله من الجهد وما نحراه من الأجادة

أما عن القصة في ذاتها فإني مع شديد إعجابي بها وتأثري بقراءتها تأثراً عميقاً ، قد أحسست فيها ظاهرة أحسب القراء جميعاً سيحسونها مثلي ، ذلك أن خواطر المؤلف كلها تدور حول نفسه وحول حبيبته ، مما ضيق مجالها وتركها خالية من ذلك الجلو الشعري الذي يوجد في مثل تلك الآثار الأدبية العظيمة ، ومن تلك الأفكار الفلسفية الباهرة التي يطلق بها أصحاب تلك الآثار على ما يصادفهم من ظروف ومواقف ، فيزيدونها روعة وقوة ، كما أن القصة تكاد تكون خالية من الأوصاف الطبيعية ومن أوصاف الرجال والبيئات . فهي من ناحية التمييز عما في داخل النفس ، أو بعبارة أخرى من الناحية المعنوية البحث التي تدور حول عاطفة الحب قد بلغت غاية الجودة ، ولكنها بالاعتصار على ذلك فقدت كثيراً من الصور والأطراف التي تشع المرء لدى قراءة القصة بصدى الحياة

هذا وإني لأشكر للدكتور حسن صادق ما بذله من مجهود وأرجو أن يتحف قراء العربية بين حين وآخر بمثل هذه النفحة الساحرة من أدب الغرب ما

الطيب

أغاني الكوخ

نظم الأديب محمود حسن اسماعيل

شعراؤنا الضباط

للأديب محمد عبد الفتاح ابراهيم

أنتقل بالقارى إلى هذا الديوان المسمى أغاني الكوخ ، لناظمه محمود حسن اسماعيل ، ويقع في نحو مائة وخمسين صفحة ، وقد أخرجه صاحبه في صورة أنيقة جذابة تشهد له بحسن الذوق ولعلك ترى في هذا الاسم « أغاني الكوخ » ما ترشح إليه نفسك وخيالك ، فإذا مضيت تقرأه حمدت لناظمه هذه الروح المصرية ، بل هذا الإعجاب الشديد بجمال الريف وبهائه ، مما يمد خطوة محدودة نحو ما نتمنى بلوغه في نهضتنا الأدبية من مبيع أدبنا بالعصبة المحلية الطبيعية ، وتصوير بيئتنا تصويراً يحفظ لثقافتنا لونها ، ويعد عن أدبنا ما يوشك أن يعلق به من بهرج زائف وتكلف مملول وأذكر أني قدمت للقارى على صفحات « الرسالة » من أمد قريب (ظلال القمر) للأديب أحمد نجيم وقد أعجبتني منه هذه الروح المصرية التي أراها أكثر ظهوراً وأتم فضوحاً في ديوان الأديب محمود حسن اسماعيل ، فإن معظم قصائده تدور حول المناظر الريفية المحبوبة في صعيد مصر مع دقة في الوصف وصدق في الأحساس اعتبرها باكورة طيبة لا بد أن تستدرج في سبيل الرق إلى الكمال .

بيد أني وقد أعجبتني صدق إحساس شاعرنا ، أراه يأتي في شعره ببعض الأخيلة التي لم أستطع أن أصالح ذوق عليها كما جاء في قصيدة الكوخ وفي قصيدة « تبسمي » و « القيثاره الحزينة » و « النعش » و « سنبلة تفتي » و « عند زهرة الفول » ، فقد ورد في تلك القصائد بعض المعاني الجزئية التي لا تتواءم وطبعه

هذا إلى استعماله بعض المجازات والاستعارات كتصفيق الألحان في القلب ، وأجفان القلاع ، وقوله إنه رشف قصائده من ثمر عشيقته وغير ذلك مما لا يتسع له المجال

ولست أغضب الأديب محمود حسن اسماعيل فيما أعتقد ، إن نهته في إخلاص الالهام بتجويد فنه والاهتمام بمعانيه ، فديباجته في الجملة مشرقة ، ولغته سليمة وألفاظه جيدة ، كذلك يجدر به أن يولي قوافيه من العناية أكثر مما يفعل ، وإن اهتم بذلك فسوف يرى منه في المستقبل القريب شاعراً مصرياً رقيقاً .

الخفيف

يجد القارىء هذا الكتاب كما يتضح له من عنوانه ، تراجم لشعراء مصر من الضباط ، وضعها الضابط الأديب محمد عبد الفتاح ابراهيم ، ولعل القارىء يشاركني شعور الغبطة حين يتجلى له هذا الاخلاص من المؤلف لطائفة من أهل مهنته ، كاد ينسى معظمهم المشتغلون بالأدب ، على الرغم مما قدموه في ميدان الأدب من خدمة اللغة عامة ، وفن القريض خاصة

ترجم هذا الأديب الفاضل للبارودي ، وحافظ ابراهيم ، وعبد الحليم حلمي المصري ، ومحمد فاضل ، ومحمد توفيق على وقد سار في دراسته فيما يتعلق بهؤلاء جيماً على وتيرة واحدة تقريباً ، فكان يأتي بلحظة عن تاريخ كل شاعر ، مبيناً البيئة التي نشأ فيها ، ثم يذكر المناسبات التي حركته الى نظم القصيد ، مودداً بعض الشواهد من مآثور نظمه ومن مشهور قصائده

ولاني وان حدثت للضابط الأديب وقاءه واجتهاده ، أحس أنه كان في كتابته يقصد إلى الوفاء أكثر مما يقصد إلى الدرس ، ولن أظلمه إذا قلت أنه في بحثه كان يميل إلى سرد المعلومات مهتماً باستيعابها دون تحصيلها ، فلم تكن له طريقة محدودة ، أو بعبارة أخرى لم يكن قوام عمله التحليل الأدبي الذي يستند إلى الفن وإلى الخبرة بالحياة ، ولست أنكر هذه الخبرة عليه ، ولكنني لم أتبين صداها في بحثه ، وكان يميل إلى أنهاء كلامه عن البارودي ، ثم عن حافظ — على الخصوص — أنني أستمع إلى محدث في مجلس من مجالس الأدب ، لا يتقيد فيه من يتعرض لحياة شاعر بأوضاع فنية أو يراعى وحدة الموضوع وسبيل التدرج فيه . هذا إلى أنه كان يترك الأمر أحياناً لغيره ، فيعرض أقوال من كتبوا عن حافظ دون أن يتناولها بتعليق

على أن كتابته على الرغم من هذه المآخذ ، جدير أن يثير اهتمام أدبائنا بهؤلاء الشعراء ، وهو وفاء يثاب عليه المؤلف ، واجتهاد يستحق من أجله الثناء

الخفيف